سلسلة الارشيف

4



المبروكة

د. منى حارس

مقدمة

صباح الخير إن كان صباحًا .

ومساء الخير إن كان مساءً .

معكم سالم منصور عبد الرحمن، الصحفي المغامر العاشق لعوالم ما وراء الطبيعية، والباحث المجد خلف الغموض وكل ما لا ينتمي لعالمنا، كاره القهوة، عاشق التبغ، البالغ من العمر ستين عاماً.

إن ما لدي من خبرات وقدرات لم تحيطوا بها علمًا، يمنحني بعض الثقة في أن ما سأقصه عليكم اليوم سينال رضاكم.

وأخبركم بسري الصغير، إن لدي أرشيف كامل يغص بكل ما مررت به من مغامرات، ومصائب، وأحداث غريبة، وغامضة، وخارقة، طوال حياتي، ومسيرتي الصحفية في هذا العالم، لم أترك شيئًا للذاكرة أو

للتخمين، كل شيء دونته أولا بأول، ودون زيادة أو نقصان في تلك الملفات التي تحتل نصف مكتبتي و..

لا تتسع أعينكم دهشة من هذه الملفات التي يتجاوز عددها الثلاثين، فمازال هناك مثلها أو يزيد في صندوق خاص موضوع بالعلية، غير ما لم أكتبه بعد، إن ما مررت به في حياتي أكثر مما تستوعبه عقولكم، ويستحق الاهتمام والتدوين.

لقد صنعت أرشيفي الخاص بداخل تلك الملفات.

المهم ما تحتويه هذه الملفات من قصص ومعلومات. بعضها مثير، وبعضها مخيف.

لقد حان الوقت لنخوض رحلتنا معا..

كوب من الشاي بالشيكولاتة ذو النكهة الأقرب إلى طعم مشروب الكاكاو القديم، التي بت أفتقدها في مشروبات هذه الأيام .

مقطوعة موسيقية حالمة لعمر خيرت..

مقعدي الهزاز المريح المزود بنظام حديث للمساج .

لنبدأ معاً قصة ملف: المبروكة

مقدمة

مرحبا بكم جميعا ..

إنه أنا مضيفكم من جديد " سالم منصور عبد الرحمن " الصحفي المجنون ، المغامر العاشق لعوالم ما وراء الطبيعية والباحث خلف كل ما لا ينتمي لعالم البشر، الذي قضى حياته في التحقيق بالجرائم الغامضة.

وفي الأقبية المسكونة والغابات المهجورة ليلا يواصل سرد حكايته وقراءة ملفاته الزرقاء التي تعج بها مكتبة منزلة.

إن ما مررت به في حياتي يستحق الاهتمام والتدوين، عدت لكم من جديد لأقرأ عليكم ما كتبت يوما،

يا ويلي، هل تتساءلون الآن ماذا أكتب ؟

أكتب عن الأشياء التي لا ترى ولا تعقل، التي تتحرك من تلقاء نفسها، وعندما تدير وجهك نحوها .. لا تجدها.

أكتب عن ذلك الشيء الذي يقف خلفك دوما وتشعر بمراقبته، عن الأشياء التي لا اسم لها كما يسميها "لافكرافت".

عن الستائر التي تتموج ليلا على ضوء القمر دون وجود هواء، عن الأبواب التي تصدر صريرا ليلا وتفتح من تلقاء نفسها.

عن شواهد القبور وقت الغروب، عن الأطفال الذين تلعب معهم وبعدها تعرف بانهم موتى.

عن الوجوه التي تنطبع على زجاج النوافذ في المنازل المهجورة ليلا، عن الرعب أكتب، وعن الأمور الخارقة الغريبة ولا تعرف لها تفسيرًا، هل عرفتم ماذا أاكتب.

يكفي ثرثرة، ولنبدأ حفلتنا، كوب من الشاي محلى بعسل النحل ليساعدني على إكمال السهرة، هيا التفوا حولي ولا تخافوا فمازال الليل وليدا كما يقول الانجليز.

إن هاتفي الجوال يرن، لحظات وأكون معكم، لا تتحركوا رجاءً

إنها هي، وكعادتها من سنين طويلة تتصل بي كل يوم لتقول لي نفس الجملة :

- أنت بخير.

وبعدها تغلق الخط في وجهي، لا تتعجبوا وتهزوا رؤوسكم وتسخروا من عجوز مثلي ..

نعم ..

هي لا تقول سوى تلك الجملة " أنت بخير " وقتها فقط أعرف بأنني لن أموت هذه الليلة ..

لقد أجبرتني تلك الفتاة على حمله وأحضرته لي يومها لا أدري من أين أحضرته في الحقيقة ؟

غامضة حقا ومخيفة أعرف، فلا تتكلم إلا إن أرادت الكلام ، فلا تجبروها على الكلام إن قابلتموها يوما،

لأنها لن تتكلم صدقوني مهما فعلتم إلا عندما تريد، فاحذروا منها وابتعدوا عن طريقها ولا تزعجوها، ولما لا، انتظروا سوف أحضر ملف قضيتها الأزرق من الأرشيف وأخبركم قصتها الغريبة وتلك المجزرة البشعة التي هزت النفوس رعبا وجزعا، إن القصة مازالت أحداثها عالقة في ذهني حتى اليوم، ورغم مرور كل تلك السنوات فلا أحد يستطع نسيان المبروكة.

- 1 -

جريمة بشعة

رائحة الدم (وزفارته) رائحة كريهة بلا شك فلا تود استنشاقها، وخاصة عندما تمتزج برائحة العرق ورائحة الأنفاس الثقيلة المتوترة وروائح التبغ البغيضة الذي ينتشر بالمكان، إن الهواء ثقيل ممل، يشعرك بالغثيان والتوتر، كان رجال الشرطة يملئون ذلك المنزل الريفي

ووقف رجال البحث الجنائي يتزاحمون على الجثث كالديدان الجائعة، يلتقطون الصور بغزارة ، يرفعون البصمات من كل شبر وزاوية بحثا عن دليل لمعرفة مرتكب تلك المجزرة البشعة التي هزت القرية بأكملها فزعا ورعبا ..

وحتى هم، لقد هزتهم المجزرة ووترتهم وجعلت أغلبهم يفرغون ما في بطونهم مما شاهدوه من جثث ممزقة وبطون مبقورة خرجت أمعائها بطريقة مقززة

تتدلى كحبل سري من الأجساد الدامية ، حتى الرؤوس فُصلت عن الأجساد وأخذها القاتل معه .

دماء مسفوكة تلطخ الجدران ، ورائحة (زفرة) ممتزجة برائحة الموت وكأنها تخبرك بأن قابض الأرواح كان هنا ..

فالجثث بكل مكان تعترض طريقك بسماجة.

أجساد عارية ممزقة ، فتلك جثة لأنثى معلقة من أرجلها بدون رأس

وأخرى لطفل أمام باب المرحاض فاجأه القاتل واجتز رأسه الصغير وبراءته وهو يلبي نداء الطبيعة.

أطفال ونساء شيخ وشاب لم يفرق مرتكب الجريمة بين أحد، ولم يترك أحدًا فالدماء تلون كل شيء ، فقد المسعفون الأمل في العثور على أحياء، ثلاث عشرة جثة ومن بينهم ستة أطفال قطعت رؤوسهم وفصلت عن الجسد

والأبشع أن القاتل سرقها.

أخذ المسعفون يرفعون الجثث ويضعونها بأكياس سوداء ، ويرفعونها على المحفات في صدمة، وفي الخارج احتشد أهالي القرية في مشهد كئيب ومنعهم رجال الشرطة من الدخول إلى المنزل، هز الرائد نضال رأسه بغضب قائلا :

- إنها حقا مجزرة بشعة، ثلاثة عشر فردًا من عائلة واحدة يذبحون في نفس الوقت وتختفي رؤوسهم ولم يشعر أحد بشيء لا أصدق هذا.

هز عمدة القرية رأسه وهو ينظر بفزع لكل تلك الجثث التي يحملونها، فلقد قتلوا كل العائلة حتى الشيخ المسن لم يرحموه، والأطفال ماذا فعلوا ليذبحوا كالخراف!!

رد العمدة :

- لا نعرف ماذا حدث، فلم نسمع أي صرخة ليلا، فلولا "أم الخير" كانت على موعد مع نساء المنزل ما عرف

أحد بالأمر، فلقد سمعنا صراخها ورأينا الجثث واتصلنا بالمركز مباشرة.

زفر نضال بغضب صارخًا في مساعده :

- لماذا لم يرسلوا قوات الدعم الإضافية، ألا يعرفون حجم المصيبة؟

- لقد أبلغنا المديرية وهم في الطريق، لا تقلق يا نضال بيك.

التفت نضال بغضب للعمدة :

- من تعتقد ارتكب المجزرة أيها العمدة؟ فهل كانت هناك عداوة مع العائلة ... لم يكمل جملته ..

فلقد سمع شهقات رجاله، التفت بغيظ الى ما ينظرون فرآها وقد ظهرت من العدم .. فتاة صغيرة نحيفة ترتدي ثوبًا أبيض غارق ذيله بالدماء وتغطى وجهها بشعر أسود ناعم طويل فلا يظهر شيئا من وجهها،

كانت هيئتها مخيفة مرعبة، تمسك بيديها دمية قطنية من إحدى ذراعيها تجرها على الأرض، تمشي ببطئ

ولا تهتم لتلك الوجوه التي نظرت لها بتوتر وابتعدت عنها بذعر، يبدو أن الفتاة خرجت من الفرن الحجرية بالبهو، ففزعوا من رؤيتها المفاجئة وهم يعتقدون أن الجميع أموات ..

فيبدوا أنها نجت بطريقة ما، وتساءل رجال الشرطة بصمت .. لماذا لم تقتل الفتاة ؟

لم تتكلم أو تنظر لأحد، بل اقتربت بهدوء من الدماء المتناثرة، وضعت دميتها على الأرض وانحنت تتفحص الدماء وتشمها بطريقة غريبة، حتى لقد لامس شعرها الدماء، وضعت كلا يديها لتغمسها بالدماء فصبغت كفيها، وبعدها ذهبت لأقرب جدار ، ووضعت كفيها لتصبغه بالدماء تاركة آثار كفها الصغير على الجدار وأخذت تضحك بصوت عالٍ، وصدى ضحكاتها يرن في آذانهم، أخذت قلوب الواقفين ترتجف فزعا، فمن

تلك، هل هي بشرٌ أم شبحٌ، ومن أين ظهرت؟ لقد ألجمتهم الصدمة فوقفوا ينظرون إليها بتعجب ؟

شهق العمدة ليقطع حبل أفكارهم السوداء وهو يقول :

- المبروكة، الحمد لله فبركة القرية لم تمت، الله أكبر أخذ يهلل ويكبر ..

وبعدها ذهب إليها ليمسك بيديها الصغيرة ويمسحها قائلا:

- ماذا تفعلين يا تبارك إنها ليست دماء الأضحية؟ لم ترد الفتاة أجلسها وهو ينظف يديها بالمنديل بعد أن بلله ببعض قطرات الماء.

نظر نضال بشك للفتاة، هي الوحيدة الناجية من المجزرة فلماذا ثيابها غارقة بالدماء، هل رأت القاتل؟ فقال :

- هل رأيتِ ما حدث ؟

لم ترد بل أخذت تنظر ليديها المصبوغة بالدماء ، والعمدة ينظفها نزعت يديها بقوة وهي تصرخ بغضب، فكرر الضابط سؤاله،

رد عليه العمدة بتوتر :

- إنها لا تتكلم إلا إذا أرادت، فهي فتاة من أولياء الله الصالحين لديها عمار مع الله أيها الضابط، فلا يرد الله لها دعوة، مرفوع عنها الحجاب، فلا تخيفها وتفزعها، فلا أحد يجرؤ بالقرية

كلها على إيذاء المبروكة حتى لا يصاب بالأذى، فاتق شرها وخذ من بركتها.

زفر نضال بغضب قائلا :

- ماذا تقول أيها العمدة، وما هذا التخريف؟ وهل اسمها تبارك أم المبروكة، وبنت من ؟

- ابنة الشيخ مهران وأصغر بناته واسمها تبارك، وليست تخاريف ندعوها بالقرية بالمبروكة لبركتها، لقد جاءت

وجلبت معها الرزق والبركة منذ 15 عام، فيوم ولادتها ربحت تجارة والدها، وكثرت فسماها "تبارك"، وسميناها المبروكة لبركتها فهي تعرف من سيموت ومن سيعيش، فاحذر من المبروكة إن قالت لك أنك هالك ولا تزعجها، فكم شخص اخبرته بأنه هالك فمات بعدها بأيام قليلة.

اقترب الضابط من الفتاة ولم يهتم بما يقوله العمدة من تفاهات وكلام فارغ , فهل تبلغ من العمر 15 عام!؟ فحجمها الصغير وقامتها القصيرة لا يدلان على ذلك؟

رفع شعرها الأسود من على وجهها وهو ينظر إليها، وهنا زفر بغضب وضيق لقد كانت الفتاة تمتلك وجهًا ممتلئًا مستديرًا ، وبشرة صفراء وعيونها ضيقة ، ولسانها متدلي للخارج وتضحك باستمتاع وكأنها تسخر منه ، فالفتاة معاقة ذهنيًا، فلن تفيده الفتاة المنغولية في شيء ، ولكن مهلا فربما استطاع استدراجها، فقال بلطف:

- تبارك، هل تعرفين من الذي فعل كل هذه الفوضى وآذى عائلتك؟

نظرت له طويلا وهي تضحك ولسانها متدلي خارج فمها ثم قالت ببطء وبصوت متقطع :

- أحلام ... تاتت...أحلام جنا!!! ..بررررر

نظر خالد ونضال بدهشة إلى الفتاة، فماذا تقول ، ومن هي أحلام تلك التي تتحدث عنها؟

فنظرا إلى العمدة وقال نضال :

- هل هناك فتاة اسمها أحلام بالمنزل؟

هز العمدة رأسه بفزع، وبعدها نظر للصغيرة وهو يسألها :

- أحلام من يا مبروكة ؟

نظرت له بعيون واسعة ولسان متدلي تشير إلى باب المنزل قائلة:

- أحلام تاتت .. عروس .. جازي .. جنا.. برررر

شهق العمدة برعب :

- يا للمصيبة ماذا تقولين يا مبروكة، أحلام ماتت؟ يا نهار أسود.

تساءل الضابط بحيرة وهو يشعر بأن العمدة يفهم الفتاة :

- ماذا تقول الفتاة يا عمدة ؟

نظر العمدة بعيون خاوية :

- أحلام يا حضرة الضابط ، أحلام مخطوبة أخيها المغازي ماتت ..

وفي تلك اللحظة تعالت الصرخات بالخارج بصوت مزعج وأعلى من ذي قبل، ودخل أحد الجنود بوجهه الأصفر وهو يصرخ بتوتر وصوت مبحوح:

- مجزرة أخرى وعائلة قُتلت كلها يا حضرة الضابط، سبع جثث مذبوحة، سأل العمدة بصوت متقطع :

- عائلة الرحيمة قُتلوا أيضا!! يا نهار أسود ؟

نظر له الجندي بشك وبعدها إلى الضابط بخوف، فحقًا هي عائلة الرحيمة كما أخبره أهل المجني عليهم بالخارج ، نظروا بشك إلى العمدة الذي كان يولول كالنساء قائلا :

- أحلام هي ابنة الرحيمة ومخطوبة المغازي أخي المبروكة فماذا فعلت يا عبد المولى في حياتك ليحدث ذلك ويقتل عشرين فردا من أهل قريتك في يوم واحد ؟

وهنا نظر الجميع بشك إلى الفتاة التي كانت تجلس بهدوء ، وتحتضن دميتها ونزل شعرها من جديد على وجهها ليغطيه كله،

فالمبروكة هي الشاهد الوحيد على تلك المجزرة البشعة .. فأخذت هي دميتها القطنية واحتضنتها بقوة

وهي تكرر كلمتها كثيرا وتشير بيديها خارج المنزل :

- برررررررررررررر

نظر لها نضال بغيظ، فهل تقصد طردهم من المنزل أم ماذا تقصد يا ترى بتلك الكلمة " بررررر" ؟

هل تعني شيئًا آخر، فنظر إلى العمدة ، لكي يستفهم منه ويترجم له الكلمة، ولكنه كان في عالم آخر ، فالفاجعة التي حلت على قرية ميت رهينة أقدم قرية بمركز البدرشين بالجيزة كبيرة، والمصيبة لا تحتمل.

***

دخلت قوات الشرطة إلى منزل الرحيمة ، كانت نفس المأساة والمصيبة، جثث وأجساد عارية ممزقة ومبقورة البطن في كل مكان ، ودماء ملطخة للجدران ، وأجزاء مسروقة من الأعضاء ، ورؤوس الأطفال مفصولة عن أجسادهم الصغيرة ومختفية مثل باقي الجثث المتناثرة هنا وهناك وأجساد فارقت الحياة بعد أن تمت سرقت أعضائها ورؤوسها ببجاحة شديدة ..

مجزرة أخرى ، سبع جثث متناثرة بأرجاء المنزل، منهم من كان نائمًا ومنهم من كان يشاهد التلفاز.

نفس المناظر تتكرر ونفس الجثث العارية ، ونفس الدماء، وكأن مرتكب الجريمة واحد فطريقة القتل واحدة، هتف الضابط خالد وهو يضع منديلًا على فمه قائلا :

- نضال، ألا تلاحظ شيئًا في المجزرتين ؟

رد نضال بشرود، فلقد شعر بالمرض مرة واحدة وهبوط حاد بالدورة الدموية :

- لا أفهم ماذا تقصد يا خالد ؟

- الدماء يا نضال، لماذا أشعر بأنها قليلة على كل تلك الجثث وأعدادها الكثيرة في المجزرتين؟

- ماذا تقصد ؟

- أقصد أن تلك الجثث لم تُسرق أعضائها ورؤوسها فقط ، بل صفيت دمائها أيضا وأخذها المجرم معه.

التفت نضال بحدة ونظر إليه قائلا :

- أنت محق يا خالد، فأنا أيضا أشعر بأن هناك شيء خاطئ بمنظر الدماء ، وخصوصا عند رؤية جثث الثلاثة أطفال الذين قتلوا متجاورين، فكمية الدماء على الأرض كانت قليلة جدا بالرغم من قطع الوريد الوداجي لكل جثة، فهناك حقا من صفى تلك الأجساد وترك القليل منها ليشتتنا فلا نتنبه لأمره ...

- سيثبت رجال البحث الجنائي والطب الشرعي ...

قاطعه نضال.

- خالد أين ذهبت الفتاة الصغيرة؟

- المبروكة؟ لقد أخذتها أختها من الأب لتهتم بها، فالفتاة معاقة ذهنيا

- هل ستردد تلك التفاهات أنت الآخر وتقول المبروكة , فهل يسخر منا القدر ، جريمة ومجزرة بشعة والشاهدة الوحيدة فتاة متخلفة عقليا لن نفهم منها شيئا، هل ترى السخرية والمهزلة المقدمون عليها ..؟؟

لم يرد خالد عليه ولكنه شعر بالضيق من زميله لإطلاقه لفظ متخلفة عقليا على الفتاة ، فليس ذنبها أن خلقها الله مختلفة ومعاقة ذهنيا، ومن منا كان يعرف كيف سيُخلق وكيف سينتهي به الحال في النهاية ..

قطع حبل أفكاره صوت نضال الأجش وهو يقول :

- أريد رؤية تلك الفتاة من جديد، فلماذا تركها القاتل ولم يؤذها، فما السر الذي تخفيه تلك الفتاة المتخلفة عقليا ؟

زفر خالد بضيق:

- ربما لأنها مريضة يا نضال فماذا سيستفيد من قتلها ؟

- إن من يقتل كل هؤلاء الأبرياء ومن بينهم رضع ، ويقتلع رؤوسهم لن يهتم إن كانت الفتاة مريضة أم لا، أريد التحدث معها من جديد، وأحضر متخصص يعرف كيف يتعامل مع تلك الحالات، هز الآخر رأسه بنعم سيفعل.

***

- 2 -

الجثث

ذهب الضابط نضال ومساعده إلى منزل العمدة بعيدا عن الدماء (وزفارتها) لاستكمال التحقيق والاستماع للشهود ، وتركوا رجال البحث الجنائي خلفهم لرفع البصمات وجمع الأدلة ، والمسعفون لرفع بقايا الجثث والأعضاء ، نعم هم رجال شرطة واعتادوا رؤية الجثث والقتلى، ولكن هذه المرة الفاجعة كبيرة ومنظر الجثث المقطوع رؤوسها صعب ومقزز، وخصوصا أن من بين الضحايا رضع عمرهم شهور، فمنظرهم يثير الغثيان ويشعر المرء بالإرهاق والتعب النفسي، كان نضال يشعر بالتوتر والقلق فقال بعصبية :

- كم العدد الإجمالي للجثث يا خالد حتى الآن ؟

- عشرون جثة، ثلاث عشرة جثة من عائلة المهارنة ، وسبع جثث من عائلة الرحيمة ..

قُتل من عائلة المهارنة الأب وزوجته وأولاده وعائلاتهم جميعا وابنه الصغير خاطب أحلام الفتاة التي قتلت بالمجزرة الثانية، وكان سيتزوج الشهر القادم، لم ينج إلا ابنته الصغيرة تبارك ... وهنا قاطعه نضال قائلا :

- الفتاة المتخلفة عقليا! لماذا لم يقتلها القاتل هي الأخرى؟ لا أفهم، أريد تحريات حول تلك الفتاة وواضح أن الرابط بين الجريمتين صلة النسب .

- إنها معلومات جيدة يا نضال خالد، ولكن من أين سنبدأ في رأيك ؟

- سنبدأ من عند المبروكة لنعرف سبب عدم قتلها أعتقد أن هذا هو بداية الخيط.

***

كان نضال يقف في نافذة بيت العمدة ينظر إلى حقول الذرة الواسعة الخضراء أمامه ، وهو يفكر من الذي

ارتكب تلك المجزرة، والسبب والغرض منها، ولماذا هاتين العائلتين؟

وهنا دخل أحد الجنود قائلا بصوت عالٍ :

- هناك شيء هام لابد أن تراه بنفسك يا سيدي.

- ماذا هناك يا عوض تكلم ؟

- هناك شيء غريب وجدناه قرب الترعة الكبيرة خلف منزل الرحيمة.

ثم ذهب خلف الجندي ، ولم ينطق بحرف واحد، فهو متأكد أن ما وجده الجنود شيء هام وإلا ما أزعجوه، قطع أفكاره صوت الجندي وهو يقول :

- انظر يا فندم ماذا وجد رجال البحث الجنائي.

نظر نضال بحيرة واقترب ببطئ من تلك الأشياء الصغيرة المرصوصة في صفين على جانب الترعة، انحنى وهو ينظر بفضول :

- ما هذا الهراء والعبث الشيطاني ؟

***

عادت توفيقة من القاهرة، وهي إحدى بنات عائلة المهارنة الذين قتلوا مع طفليها، وهي حزينة ومصدومة لأخذ العزاء بعد مقتل عائلها ، ولم تنطق بكلمة واحدة وهي تسمع النحيب والصراخ للنساء ، ولا يعجبها ما يحدث، لقد تركت القرية من زمن وعاشت وتزوجت بالقاهرة بسبب تلك العادات التي كانت تكرهها.

رن هاتفها الجوال، أخبرها زوجها بأن خاله الصحفي المعروف حضر بالخارج للعزاء ويريد رؤيتها ، خرجت من الباب الخلفي للمنزل، كان زوجها ومعه خاله، شعرت توفيقة بالراحة الشديدة لوجود سالم، فهي تعرف أنه ليس صحفيًا عاديًا بل مهتم بحل القضايا الغامضة والجرائم المعقدة وأمور ما وراء الطبيعة والألغاز الغريبة ، فربما استطاع الرجل حل القضية

ومعرفة السفاح الذي قتل عائلتها كلها وقدمه للعدالة ليستريح الموتى في قبورهم..

فقالت برجاء من بين دموعها وهي تنظر لعيون الصحفي قبل أن ينطق بكلمة واحدة :

- أرجوا أن تساعدني في معرفة السفاح أستاذ سالم لنقتص منه، أعرف أنك تستطيع.

هز رأسه بنعم.

سيفعل ...

وهنا ظهرت هي من العدم بثوبها الأبيض الطويل وشعرها الذي يغطي وجهها ووقفت بجوار سالم، وأخذت تنظر له دون أن تتكلم، هتفت توفيقة بهلع :

- تبارك أين كنت ؟

نظر سالم بفضول شديد فهل تلك الفتاة الصغيرة هي الشاهد الوحيد على تلك المجزرة ، وتعرف السفاح كما

يقولون؟ وهنا عاد خطوتين للخلف بتوتر ..

فنظرات الفتاة غير مريحة بالمرة له فلماذا تبتسم بسخرية ويتدلى لسانها للخارج ؟

***

منذ خمسة عشر عامًا، كانت سنة قليلة الأمطار شعر الجميع بالتشاؤم، وفي إحدى الليالي ولدت المبروكة، ولم تصرخ كباقي الأطفال ، بل كانت تبتسم حتى أن القابلة أخذت تبتسم هي الأخرى وأخذت تضربها على ظهرها لتبكي ، ولكن الفتاة رفضت البكاء حتى شعرت الداية بتنميل في يديها من ضرب الطفلة ، وهنا انهمرت الأمطار غزيرة من السماء كالسيول وكأنها كانت تنتظر قدوم الفتاة وأتت لتحتفل، وهنا قالت الداية :

- إن تلك الفتاة مبروكة فلقد جلبت الرزق والخير معها، لم تبكِ المبروكة يوما، كانت سبب سعادة والدها، فيوم ولادتها ربحت تجارته، بعدها لاحظت الأم اختلاف

ابنتها عن باقي الأطفال أخبرت الأب ولكنه نهرها وأخبرها بأنها مبروكة ورزق السماء،

لاحظ الجميع بركة الفتاة، فمن تدعو له وتضع يدها عليه تتحقق دعوتها ، ومن تنظر له طويلا وتبيض عينيبها بطريقة مخيفة ويتغير صوتها وتخبره بأنه هالك يموت بعدها بأيام قليلة، كان الجميع يخشاها وفي نفس الوقت يبجلونها ولا يستطيعون أذيتها لبركتها ، حتى إن رأوها تسير في الأراضي الزراعية ليلا ، لا يجرؤ احد على الاقتراب منها فالفتاة تسير وهي نائمة في الليالي القمرية، وتعود للمنزل بمفردها.

أنهى خالد تقريره وهو يكمل :

- ربما لذلك لم يقتلها القاتل وتركها، فلم تكن موجودة بالمنزل وقتها فأمس كانت ليلة قمرية، ربما خاف من أذيتها فهم يبجلونها بالقرية ويخافونها كالموت.

زفر نضال بضيق وهو يقول :

- هل تعلم، ربما ما تقوله صحيح يا خالد فانظر ماذا وجدت بجوار الترعة نظر الآخر بتعجب إلى تلك التماثيل المصنوعة من شمع العسل، كانت عشرين تمثالًا بعدد القتلى وأشكالهم وأحجامهم، حتى الأطفال منهم، هز رأسه بتعجب وبعدم فهم :

- لا أفهم ما هذا، هل هذه التماثيل تشبه القتلى أم أنني أتوهم

- إنها تشبههم حقا، لاحظ ألا تمثال للفتاة بينهم ، ربما حقا خاف منها القاتل كما يخاف منها الجميع هنا فما السر؟ .

- ليس هناك سر ولا شيء ولكن معظم أهل الريف والقرى يبجلون الأطفال المعاقين ذهنيا ، ويعتبرونهم أطفالًا ليس بينهم حجاب مع الله ، ودعوتهم مستجابة ويعتبرونهم رسل الله على الأرض وبركتها، فيصنعون حولهم هالة كبيرة من التبجيل والاحترام ، وفي نفس الوقت الخوف والرهبة.

- 3 -

موت الصبي

استيقظ الصبي بعد العصر ، على نباح كلبه الصغير ، نظر الطفل الذي لم يكمل عامه العاشر بقلق فلم يكن هناك أحد بالمنزل ، بحث عن أمه كثيرا..

ولكنها كانت نائمة بجوار أخيه الصغير ، دخل غرفة جدته العجوز كانت نائمة هي الاخرى ..

خرج ليرى ماذا أصاب كلبه ، كان الكلب بجوار السور الحديدي ، ينظر للبئر وينبح بشدة، اقترب منه الصبي وهو يحاول إمساك رقبته وتهدئته قائلا :

- ما بك يا عنتر لماذا جئت إلى هذا المكان بجوار البئر؟ إن علم أحد سوف يضربونك بشدة، هيا بنا، أخذ يجره بقوة ، لكن الكلب أبى أن يتحرك ، أخذ ينظر للبئر من خلف السور وينبح، نظر له الطفل بتعجب ، هو لا يفهم، فالبئر مهجورة منذ سنين ومحظور على أحد الاقتراب

منها، دوما جدته تحذره من شر البئر ولا تجعله يقترب منها ، وحتى أمه وأبوه.

هو لا ينسى ذلك اليوم .. يوم اقترب من السور بفضول ، وألقى بحجر داخل البئر فثار الماء بداخلها ..

وأخذ يخرج كشلال، هو لا يعرف ماذا حدث، فلقد سقط فاقدا للوعي من شدة الفزع ، فلقد خرج الماء بقوة وكأنه انفجر من أنبوب .. استيقظ على صوت والده وهو يضربه بقوة لأنه اقترب من البئر اللعينة، فالبئر ملعونة موجودة منذ سنين خلف المنزل ولا يستخدمها أحد، ولا يستطيعون ردمها، فكم مرة حاول الأجداد كثيرا ردم البئر فلم يستطيعون، فمياه البئر تبتلع التراب والحصى وتخرج لهم بقوة لتؤذي أحدهم بشدة.

فقرروا ترك البئر وشأنها، هم يعلمون بأنها لعنة من أيام أجدادهم الأولين ولكن لا يعرفون سبب اللعنة، إلا العجوز التي تجاوزت المائة عام تردد تخاريفها كل

ليلة محذرة الجميع من الاقتراب من البئر الملعونة قائلة:

- لا تقربوا البئر الملعونة، فالشيطان يسكن بداخلها ويريد الخروج .. فكم قتيل قتل وكم من دم شرب ..

- كان أطفال العائلة يجتمعون حول الجدة العجوز ليلا ويستمعون لتلك الجمل المخيفة باستمتاع .. حتى تركها كل أولادها التسعة بعائلاتهم وابتعدوا عن المنزل والبئر وحكاياتها المخيفة هم وأبنائهم ..

إلا هو، أصغر أبنائها وأفشلهم جميعا " مختار" ..

فلقد فشل في التعليم وفشل في الزراعة ، ورعاية الأرض التي ورثها من والده وفشل في أي عمل قام به في حياته، كان فاشلًا رغم عمره الذي تجاوز الخامسة والأربعين ، تزوج ولم ينجب إلا طفلين، طاهر، وسيد الذي لم يكمل عامه الأول ولكنه مشلول تماما ولا يتحرك ولا يعرفون السبب، كانت العجوز دوما

تردد بأنه بسبب البئر ولعنتها فلقد حاول مختار وهو صغير يوما السخرية من لعنة البئر فألقى فيها أنبوب حبر أسود ولون مياهها، فغضبت البئر منه وجعلت حياته سوداء، ولونتها له كما فعل هو فيها يوما .. فلم يفلح مختار في شيء، وفشل في كل شيء ...

أخذ الصبي يتذكر كل تلك الأشياء وأقاويل الجدة العجوز عن والده، نعم فهو ابن مختار ..

كان الصبي يحاول جذب كلبه بعيدا حتى لا تسمعه أمه أو العجوز فتعاقبانه بشدة لأنه اقترب من تلك المنطقة المهجورة خلف المنزل، أو تخبر والده فيقتله ضربا فالأب قاسٍ ، لا يتفاهم إلا بيديه فزفر الصبي بغضب قائلا :

- ماذا بك اليوم يا عنتر لا أفهم، هيا قبل أن يستيقظوا ويعاقبونك، لم يتحرك الكلب ، ووقف الصبي ينظر بتعجب إلى مكان البئر بفضول فماذا يرى الكلب وهو لا يراه .. هو لا يفهم ، وهنا قفز الكلب مرة واحدة ليخترق ذلك السور العالي الذي يبلغ المتران من

الحديد، الذي يحيطون به سور البئر من الخارج حتى لا يقترب منه أحد، نظر الصبي بدهشة وعيون واسعة لا يعرف كيف فعلها كلبه وقفز تلك القفزة العالية، أخذ طاهر يصيح:

- ماذا فعلت يا عنتر! هيا اخرج بسرعة من عندك يا مجنون، ولكن الكلب اقترب من البئر ورفع رجليه عاليا وأخذ ينظر للأسفل. شعر الصبي بالتوتر، فهو يريد كلبه الذي رباه منذ كان رضيعا واهتم به، فهو صديقه الوحيد في الحياة، لابد أن يخرجه، حاول تسلق السور الحديدي بصعوبة بالغة، وعند نهايته المدببة لا يدري كيف تعثر وسقط على صدره وانغرس الحديد الحاد المدبب في صدره الصغير كاملا ليخرج من الناحية الأخرى من ظهره، شعر الصبي وكان هناك من يقف على ظهره ليزيد غرس الحديد في لحمه، لم يستطع الصراخ فلقد انغرس سيخ آخر في رقبته ليخرج من الناحية الأمامية، أخذ الدم يسيل غزيرا على الأرض مكونا مجرى واحدًا أخذ يتجه نحو البئر ويدخل من

خلال تلك الفتحة الصغيرة والتشققات بين الأحجار ليلون مياه البئر

باللون الأحمر القاني، وقف الكلب ينبح بشدة وهو يشاهد هذا الدخان الكثيف الأحمر الذي يتصاعد داخل البئر مكونا سحب داكنة فوق البئر، وبعدها اختفى كل شيء وعاد كما كان، فلم تستمر الظاهرة سوى عدة ثوانٍ ..

استيقظت الجدة بفزع وأخذت تصرخ وتصيح وتسأل عن الصبي طاهر بقلق، فلقد رأت كابوسًا، بحثت الأم عنه بتوتر فلم تجده بالمنزل أخذت تنادي عليه بصوت عالٍ بالخارج فلم يرد ، اعتقدت أنه ذهب ليلعب، ولكن العجوز صرخت بفزع :

- ابحثي عنه عند البئر أسرعت الأم تركض فوجدت جثته العالقة فوق السور بجوار جثة كلبه، صرخت الأم بهيستريا حتى تجمع الناس والأب وأنزلوا جسد الصبي، ولكنه كان قد رحل بعد أن صفيت دمائه فلم يكن هناك قطرة دم واحدة بجسده ولا بجسد الكلب،

أخذت العجوز تصرخ مولولة " لقد استيقظ من مرقده بعد أن تذوق طعم الدم من جديد، لقد حذرتكم أن تبتعدوا وتبعدوا أطفالكم عن البئر ".

شعر العمدة والناس بالتوتر من كلام العجوز شعر مختار بالغضب من أمه ومن زوجته واعتبرهما هم السبب فيما حدث لابنه وموته، فطرد زوجته من المنزل وأخذ أمه بالقوة الى منزل شقيقه الكبير، كان يريد أن يجلس وحيدا ولا يريد سماع صوت إحداهما تنوح من حوله، كان يريد أن ينتقم لموت ابنه من ذلك البئر اللعين ؟

***

جلس الصحفي سالم منصور يتحدث مع الضابط نضال، فلقد كانت تربطهما صداقة قوية ، وقاما بالعمل معا، وقام سالم بمساعدة نضال في حل العديد من القضايا السابقة وتفسيرها بسهولة بعد أن فشلت الشرطة في العثور على حلول وأجوبة، فسالم ليس بصحفي عادي، قال نضال:

- لا أعرف كيف استطاع المجرم قتل الجميع في نفس الوقت ، فلقد اطلعت على تقارير الطب الشرعي ، والغريب أن سبب الوفاة واحد قطع بالوريد الوداجي بالرقبة، ووقت القتل كان واحدًا أيضا، فمعظم التغيرات بالجثث بالرغم من أحجامها وعمرها واحد، فهذا معناه أن السفاح قام بقتل الجميع في نفس اللحظة أو بفارق ثوانٍ بسيطة بين كل ضحية، وهذا غير معقول، فلا العقل ولا المنطق يتقبل تلك التقارير، والفكرة أن هناك شيء خاطئ، هز خالد رأسه بحيرة قائلا :

- ربما لم يكن قاتل واحد يا نضال، بل أكثر من شخص.

- إن كانوا أكثر من شخص فلابد أن يكونوا عشرين شخصًا، بعدد الجثث لقتل كل جثة في نفس اللحظة، ولكن السؤال كيف لم يشعر أحد بوجود هذا العدد الكبير في المنزل، وكيف لم يصرخ أحد ليستغيث؟ فلم يشعر أي أحد من أهل القرية بشيء غريب، ولم يروا شخصًا غريبًا، هناك شيء مفقود ولغز، نظرا بعدها إلى سالم ليتحدث فقال بصوته المبحوح :

- ربما من قتلهم شيء ليس بشري.

نظرا له بغباء، ورد خالد:

- هل تقصد الأشباح يا أستاذ سالم؟

- لا أعرف ولكنه احتمال ورد بخاطري، فاستحالة قتل العشرين جثة في نفس التوقيت إلا إن كانوا عشرين شخصا ليستطيع كل شخص الفتك بجثته وتمزيقها وتصفية دمائها بتلك الطريقة والهروب بوليمته، واستحالة وجود هذا العدد دون أن يراهم أحد، لا يبدوا هذا كله منطقيًا، هناك شيء آخر.

رد نضال بضيق :

- الفتاة المبروكة لابد أن تكون رأتهم أو رأت شيئًا، لا أصدق أنها لم تر شيئًا.

نظر خالد وسالم إليه ولم يردا، فهم أيضا يشعران بذلك، المبروكة تعرف الكثير .. ولكنها لن تتكلم إلا إذا أرادت الكلام، هكذا أخبرهم العمدة فلقد حاولوا معها

دون جدوى، فلم تنطق بحرف كانت تضحك ويتدلى لسانها خارج فمها مرددةً :

- بررررررررر

لا يعرفون ماذا تقصد بالكلمة، ولا حتى أختها توفيقة، حاولت معها فلم تتمكن من معرفة شيء، ولكنها شعرت بأن أختها ليست طبيعية، فربما بسبب ما حدث لعائلتها أمام عينيها

***

كانت توفيقة حائرة مع أختها الصغيرة المبروكة فهي الوحيدة التي تحبها ، فأختاها الأخرتان كانتا تكرهان الفتاة ولا تريدانها عندهما بالمنزل وتخافان منها، فلقد تغيرت كثيرا بعد الحادثة، وكأن شيء فيها قد مات، كانت ترفض الأكل واللعب مع الأطفال كعادتها، جلست وسط النساء بثوبها الأبيض فهي ترفض ارتداء أي لون آخر وشعرها الأسود يغطي وجهها، نظراتها للنساء بالعزاء غريبة، تنظر إلى بطونهن بطريقة غريبة .

وهنا جاءت هي تسير ببطء شديد بدهونها وشحومها التي تتدلى من جوانبها وأفخاذها وبطنها الكبير كالمرآة، كانت سمينة لا تستطيع الحركة أخذت تنوح كالأخريات مجاملة لأهل المنزل،

كانت تبارك تنظر لها منذ أن خطت أقدامها إلى الداخل، جلست عزيزة على الأرض مع الأخريات وأخذت تكمل سيمفونية النواح، غمزتها المرأة التي بجوارها وهي تهمس :

- إن المبروكة تراقبكِ وتنظر لكِ يا عزيزة، فماذا فعلتِ ؟

- وماذا سأفعل يا أختي.

وهنا نهضت المبروكة من على مقعدها، واقتربت منها وعيون النساء تراقبها، ووضعت يديها على بطنها ورددت :

- أنت هالك .. هالك..

وبعدها رحلت لتجلس مكانها في هدوء، أخذت عزيزة تصيح بذعر:

- لماذا يا مبروكة فلم أفعل شيئًا.

وبعدها أخذت تنوح والنساء تنظر برعب للفتاة التي نزل شعرها على وجهها من جديد فلا يرين لها ملامح، قامت معظم النساء بخوف ليغادرن العزاء خوفا منها، واقتربت عمة الفتاة "هدى" وسحبتها من ذراعها بقوة وأدخلتها للغرفة :

- اجلسي هنا يا شؤم ولا تتحركي فأنتِ تخيفين النساء بالخارج.

رفعت الفتاة شعرها عن وجهها وأخذت تنظر كثيرا إلى عمتها ، بنصف وجه ولسانها متدلي للخارج وكأنها تسخر منها، كانت العمة قاسية الملامح، كانت نظرات الكراهية من عيون المرأة للفتاة واضحة فهل ستفهمها؟ نعم فالعمة تكرهها وكانت تكره أمها كالموت، لقد تزوجها أخوها رغما عنهم، وعندما علمت

بأن زوجته حامل استشاطت غضبا هي وبنات أخيها واتفقن أن يجهضن المرأة، فكان يضعن لها الأدوية بالطعام والشراب حتى يموت الطفل في رحمها، ولكنه لم يمت .. وأتت المبروكة لتغيظهن، تخرج لهن لسانها دوما والأغرب أن الأب كان يحبها ويفضلها على جميع أبنائه، فكتب لها قطعة الأرض التي ورثها عن أبيه ولم يكتبها لها هي أخته الوحيدة، وكان يقول دوما أن المبروكة جلبت الرزق معها.

كانت حقا تكره الفتاة وتكره أمها ولا تخاف منها كما يفعل المخابيل بالقرية فهي مجرد فتاة معاقة فماذا ستفعل؟

اقتربت منها ومازال لسانها متدلي خارج فمها وهي تبتسم، وضعت يدها على رقبتها مرددة:

- أنت هالك.

وبعدها أنزلت شعرها على وجهها، نظرت لها العمة بفزع ودفعتها بقسوة مرددة:

- اخرسي لن تخيفني كلماتك.

شعرت الفتاة بقوة الدفعة فأخذت تصرخ وتصيح بطريقة غريبة، لم تستطع كتمان صوتها، دخلت توفيقة بفزع وأخواتها البنات ونظرت إلى الفتاة وهي تصرخ، رفعتها واحتضنتها بقوة وهي تقول:

- اهدئي تبارك فماذا حدث؟

أخذت الفتاة تصيح بقوة ولم ترد، حاولت تهدئتها ولكن دون جدوي، وهنا نظرت بغضب إلى عمتها وهي تقول :

- ماذا فعلتِ لها عمتي ؟

- لم أفعل شيء إنها فتاة متخلفة عقليا.

- لن أسمح لك بالغلط في أختي ولا إهانتها بعد موت أمها وأبيها، هل تفهمين؟

وهنا نظرت حميدة إلى عيون أختها الأخرى بغيظ، فهم يفهمون ما تفعله توفيقة من أجل أن تكون مسئولة عن تبارك وتأخذ هي الأرض المكتوبة باسم الفتاة، رفعت المبروكة رأسها مرددة:

- أنت بخير.

- تعالي اجلسي مع ابنة خالتك فهي تنتظرك بالغرفة الأخرى لتلعب معك، فلن يؤذيك أحد من جديد.

خرجت الفتاة وهي مازالت تضحك ويتدلى لسانها للخارج، ولكن قبل مغادرة الغرفة نظرت إلى عمتها وأختيها الأخرتين ثم قالت بصوت عميق:

- أنتن هالكات.

نظرت لها النساء الثلاث برعب ولم يرددن عليها.

***

عادت عزيزة إلى منزلها وهي تتلفت خلفها من حين لآخر، كانت تشعر بأن هناك من يتبع خطواتها ويراقبها،

كانت خائفة مرعوبة، فهل حقا ستموت كما أخبرتها المبروكة في العزاء؟ فتحت باب المنزل وكان زوجها يجلس يتناول الطعام، قطعة خبز متيبسة مع الجبن القريش، نظر لها غاضبا، لماذا لم تعدي أي طعام، أخذ زوجها يوبخها وهي صامتة لا تتحرك من مكانها، تنظر للجدار خلفه برعب، قام بعدها وطلب منها كوبًا من الشاي ولكنها لم تتحرك من مكانها مما أثار غضب الزوج فلكزها بقوة :

- هل جننتِ ؟

وهنا لم تعد تتحمل، فأخذت تصرخ بهيستريا وهي تنظر إلى ذلك الشيء على الجدار، أسود ينظر لها كما الخيال ولكنه أضخم وأكبر وله عيون مضيئة بيضاء، صاح في وجهها أن تصمت أخذت تردد:

- لا أريد الموت، لا أريد الموت الآن.

صفعها زوجها على وجهها ولكنها لم تتوقف، وقف الزوج حائرا لا يدري ماذا أصابها، تجمع الجيران

بالمنازل المجاورة وهنا أتت إحدى النساء وهي تخبرهم :

- لقد أصابها الدور وأخبرتها المبروكة بأنها هالكة.

نظروا بفزع شديد إلى المرأة وبعدها إلى عزيزة التي مازالت تنظر للجدار وتصرخ، وحاولوا تهدئتها ولكنها كانت وكأنها ترى ملك الموت أمامها، رحل الرجال ومعهم زوجها، فلم يعودوا يتحملون تلك الصرخات، وبقيت النساء معها تواسيها، وبعد أن هدأت قليلا أدخلنها إلى فراشها لتنام وأخذن أطفالها ليلعبوا بعيدا حتى لا يصابوا بالفزع، ورحلن جميعا وهن يشعرن بالحزن والأسى على عزيزة، فستموت، فلا أحد يهرب من مصيره ولا من كلمات المبروكة ...

***

- 4 -

الساحر الملعون

اقتحم رجال الشرطة بزيهم المميز النقبة القصيرة الحمراء اللون المُزخرفة بالنقوش الخضراء، اقتحموا المنزل القصير المبني من الحجارة وهم يحملون رماحهم ويتقدمهم كبير العسكر، قال أحد الجنود بتقزز وهو ينظر إلى تلك المجزرة أمامه بعيون مذعورة :

- كما أخبرنا العسس يا سيدي، فالساحر"آس خا" هو سفير الشيطان الذي نبحث عنه منذ أيام، وهو سبب اختفاء العامة من الناس واختطاف أرواحهم.

دخل كبير الجنود ونظر بتقزز إلى تلك الأجساد العارية المعلقة من الأقدام بأشياء من المعدن مثبتة بسقف الغرفة تشبه الخطاطيف مثنية ومغروسة في لحم القدم، ومقطوعة الرأس تماما وأسفلها حوض كبير مليء بالدماء، يبدو أن الساحر قام بقتل العشرة أشخاص بوحشية وبنفس الطريقة لتصفية دمائهم،

كانت الأجساد مختلفة الأحجام والأنواع، فمنهم أربعة نساء وثلاثة أطفال وثلاثة رجال، لم يفرق بين رجل وامرأة، بين طفل وشيخ، بين شابة وعجوز، كانت الأجساد تعبر عن أصحابها، بالرغم من عدم وجود رؤوس لمعرفة هويتهم فتلك الجثة تبدو لفتاة في مرحلة البلوغ فتلك الشعيرات الصغيرة التي نبتت على أعضائها التناسلية كافية لتخبرك، وذلك العجوز تبدو عليه آثار السن والعجز من تجاعيد جسده وكرمشة جلده، وذلك الطفل يبدو أنه لم يكمل عامه السادس، أشاح رئيس الجنود وجهه بعيدا وهو يصيح :

- لقد انتهك " آس خا " حرمة الموتى وقدسية أنوبيس لهؤلاء المساكين ورحلاتهم للعالم الآخر فكيف سيعيشون بدون رؤوس في عالمهم الآخر وهل سيتقبلونهم أم ستظل أرواحهم عالقة بالأرض؟ لابد من إبلاغ الملك ..

تنحنح أحد الجنود قائلا :

- وماذا عن رؤوس الموتى يا سيدي، هل نبحث عنها بالمنزل؟

رد بغضب وصوت حاد :

- ابحثوا عنها، لابد من إعادتها للموتى، وابحثوا عن الملعون " آس خا" ساحر الشيطان.

بحث الجنود كثيرا عن رؤوس الموتى بلا فائدة، حتى الساحر قد اختفى وكأنه تبخر من المنزل، وصل الخبر إلى الملك في قصره، فأمر الملك كل الجنود بالبحث عنه، وكلف كل ساحر وحكيم بالبحث بلا جدوى وفائدة فلم يستدلوا على شيء .

وفي ذلك اليوم أتى كبير حكماء القصر وهو يرتدي رداءً طويلًا من جلد الفهد وأخبر الملك بأنه يعرف مكان الساحر "آس خا" ..

فلقد وهب الساحر جسده ودمائه للشيطان لحمايته، وكل تلك القرابين التي كان يقدمها من الأضاحي البشرية والدماء وقتله لأكثر من خمسين شخصًا

متفاوتةٌ أعمارهم وأنواعهم حتى يرضى الشيطان ويتقبله خادمًا مطيعًا ويمنحه السلطة والقوة المطلقة.

وفي النهاية أخبره الحكيم بصوته العميق بأن الساحر أرسل جسده إلى مملكة الشيطان كأضحية وترك روحه تولد من جديد في جسد طفل صغير يقف أمام منزله ليراقبه ويمنع تحرير الأرواح المحبوسة للموتى بداخله، وينتظر أن يعطيه الشيطان القوة الكافية لينتقم فظهر الطفل من العدم وكأن الهواء والتراب أقاما علاقة حميمة ليوجدا الطفل يوم اختفاء آس خا من البلاد.

ذهب الملك بنفسه مع حاشيته لرؤية الطفل الذي ولدت فيه روح الساحر، كان الصبي في الرابعة من عمره أصلع الرأس تماما يرتدي قطعة واحدة من الكتان الأبيض يغطي بها عورته يقف بثبات أمام منزل "آس خا" وينظر لهم بكراهية شديدة، وهنا اقترب ساحر القصر قائلا بصوت فذ:

- من أنت أيها الصبي، ولماذا تقف أمام هذا المنزل الملعون باستمرار، فأين عائلتك، أخبر الملك المعظم ؟

ابتسم الصبي بسخرية شديدة قائلا:

- أنت تعرف من أكون جيدا، فأنا سفير الشيطان في بلادكم وحارس أرواح الموتى بأمر من سيدي.

رد الساحر برعب وهو يقترب من الصبي بحذر :

- أعرف أنك آس خا وروحك ولدت بجسد الصبي فلقد رأيت العلامات، فاعترف بجرمك وحرر أرواح الموتى وأحضر رؤوسهم ودعهم يرحلون بسلام ليعيشوا الأبدية.

لم يرد الصبي بل ابتسم بسخرية ورفع يده عاليا فارتفع جسد الساحر عن الأرض عاليا وكأنه يطير في الهواء، وتغير لون عينيه من الأسود لتصبح بيضاء اللون تماما، وهنا أمر الملك الجنود بحبس الصبي داخل المنزل الملعون، ولكن الجنود أخذوا يتساقطون

واحدا تلوا الآخر بدون سبب كلما اقتربوا من الصبي وحاولوا لمس جسده، ووقف الصبي يردد بسخرية :

- لن تهزموا سفير الشيطان في بلادكم أيها الحمقى فأنا الأقوى، منحنى سيدي القوة المطلقة، وسأنتظر أوامره على أرضكم.

وبعدها دخل إلى المنزل وأغلق الباب في هدوء في وجوههم، وقف الملك ينظر بغضب إلى منزل الساحر وجمع كل سحرته والأقوياء منهم الذين يتعاملون مع أقوى عشائر الجن وطلب منهم التخلص من روح "آس خا "، ولكنهم وبرغم قوتهم الكبيرة وحضور كبير الكهنة المرتلين "غريو حب" وقف الكهنة المرتلين وكهنة القصر وكل ساحر في البلاد عاجزين عن فعل شيء، إن الصبي أقوى منهم جميعا فروح الساحر الملعون بداخله قوية شرسة وهنا قال أحد الحكماء بصوت عميق :

- لنحاول هدم منزل الساحر الملعون فهو يستمد قوته من أرواح الموتى بداخل المنزل فإن هدمناه وحررنا

أرواح الموتى خسر قوته وضعفت واستطعنا التغلب عليه وقتها، ولكن إن مات الصبي وقتلناه ستولد روحه من جديد، فيجب حبس روحه في الظلمة حتى لا تهرب لتولد في جسد آخر وكما توقع الحكيم ذهب السحرة بتعاويذهم وكلماتهم السحرية وذهب العمال وتم هدم المنزل تماما والقبض على الصبي الذي بدا ضعيفا هشا بعد أن حررت الأرواح المحبوسة بالمنزل، حاول الصبي قتل نفسه وهم يمسكونه ولكن الحراس منعوه بالقوة، أمر الملك بعدم مس الصبي بسوء، بل أمر ببناء مقبرة أسفل سافلين الأرض وأعمق مكان بجوف الأرض لا يستطيع الخروج منها وتركه فيها وإغلاقها، وتم إلقاء الصبي بداخلها وهو حي يرزق ولكنه مكبل الأيدي والأرجل بسلاسل من المعدن حتى لا يموت قبل إغلاق المقبرة. صاح مرددا :

- سأعود يوما، فلن تهزموا سفير الشيطان على الأرض مهما فعلتم، ويومها ستندمون، فقط أتذوق دمائكم أيها الخطاؤون

كان الجميع يشعر بالرهبة والخوف من كلمات الساحر، وبعدها أمر الملك السحرة ببناء بئر عميقة ليس لها نهاية فوق المقبرة، وكتب السحرة تعاويذهم على جدران البئر، وحذر السحرة الجميع من الاقتراب من البئر الملعونة أو هدمه، وظل الناس يخشون البئر لسنوات طويلة وتتوالى حوله الشائعات والأقاويل الكثيرة، فلم يستطع أحد مس البئر بسوء، فكان رصده قويًا وحراسه من الجن أقوياء، لم يسمحوا لأحد بالاقتراب، كان الجميع يخشى البئر كالموت ويبتعد عنه، فمن حاول إيذاء البئر أو مسه بسوء أصابته اللعنة منذ آلاف السنوات.

كان كل شيء يسير طبيعيا إلا عند اكتمال القمر، تحدث أشياء غريبة وظواهر مخيفة حول البئر فيظهر الدخان الأحمر الكثيف من داخله كبركان ثائر على وشك الانفجار، تستمر الظاهرة لمدة ثوانٍ وبعدها تنتهي لا يلاحظها إلا من يراقب البئر كل ليلة قمرية من كل شهر، فهي روح "آس خا" التي حبست في ليلة

قمرية ووضعت بقبرها تحاول الخروج لتتحرر وتولد من جديد ..

" إن" آس خا" يتعذب في سجنه ويحاول الشيطان مساعدته ولكنه يفشل في كل مرة من تحرير سفيره، ولكنه سيعود لا تقلقون أيها البشر فقط ابتعدوا بدمائكم الملوثة بالخطايا والدنس عن البئر ولا تقربوه، فلا تعطوا الفرصة لتحرير سفير الشيطان من سجنه، فليلة اكتمال القمر هي ليلة تلاقي الأرواح في العالم النجمي حيث تتلاقى الأرواح وتذهب كل روح لمكانها لتحاسب عن أفعالها "

كانت هذه كلمات حكيم الملك وكبير سحرته عندما سأله عن تلك الأبخرة التي تتصاعد من جوف البئر ليلا كل شهر عند اكتمال القمر في السماء، وربطها الكاهن بالعالم النجمي الغامض عند الفراعنة، هو العالم الذي تذهب إليه الأرواح بعد الموت مباشرة، وهو المصدر الذي تأتي منه كل الأشياء السيئة .

***

استيقظ مختار على تلك الصرخة العالية التي تستغيث وكأن هناك من يعذبها ويسلخ جلدها عن اللحم، شهق بفزع وأخذ يتلفت حوله يمينا ويسارا، شعر وكأن هناك من يجثم على أنفاسه وبألم شديد أسفل ظهره، نظر بتوتر في الغرفة المظلمة، إنه كان نفس الكابوس الذي يراه كل يوم منذ موت ابنه على سور البئر، أخذ يتذكر الكاهن الفرعوني وهو يضربه بالسوط بقوة أسفل ظهره ليتساقط جلده عن اللحم، كان عاريا تماما ومقيدًا على إحدى الصخور ولا يستطيع الحركة، شاهد الكاهن يبتعد عنه ومازال يمسك السوط ويقترب من البئر خلف منزله، لا يعرف ما الذي أحضر البئر إلى هنا، وهنا خرج ابنه طاهر من البئر متسلقا، وبعدها نظر إليه بقسوة قائلا :

- أنت السبب ..

وبعدها التفت إليه الكاهن الفرعوني، وكانت عيونه حمراء دموية ورفع السوط عاليا وضربه بقسوة وأخذ يضربه وأخذ الصبي يطلق صرخته العالية المتألمة،

وبعدها سقط في البئر من جديد، أخذ مختار يحاول فك قيوده لإنقاذ ابنه من السقوط وسمع صوته يردد :

- الدماء أيها البشري، دمائكم لتخلصوا أرواحكم هو ما يريده.

هز مختار رأسه وهو يردد بحزن :

- سامحني أعرف أنني سبب موتك يا ولدي، لولا ما فعلت من تلويث البئر منذ سنوات لما انتقم اللعين بأخذك مني، ولكني لن أتركك تتعذب، سأخلص روحك ولن يوقفني أحد سأنتقم من البئر.

وهنا انتصبت شعيرات ذراعه وشعر بأن هناك أحد معه بالمنزل وتذكر ما قاله الكاهن في أحلامه :

- الدماء أيها البشري، الدماء، دمائكم لتخلصوا أرواحكم التعسة هو ما يريده.

أظلمت الغرفة مرة واحدة، ووقف يشعر بذلك الألم الشديد أسفل ظهره، فسقط على الأرض هو يشعر

بتلك الأشياء تتحرك من فوقه .

- 5 -

المزيد من الموتى

استيقظت عزيزة من نومها على صوت تلك الخربشات والضحكات الهامسة، نظرت حولها بتوتر كانت تشعر بالصداع والخوف تورمت عيناها بشدة، أخذت تتلفت محاولة اختراق ظلام الغرفة، ازدادت الهمسات، تساءلت بتوتر:

- من بالغرفة، هل هذا أنت يا متولي؟

لم تسمع ردًا من أحد ولكن الهمسات مازالت مستمرة، سمعت الكلمات " أنت هالك "، وضعت يديها على أذنيها وصرخت :

- لا أريد الموت.

عاد االزوج إلى منزله، كان الباب مفتوحًا، شعر بالتوتر، فهل نامت زوجته؟ وتركت الباب، زفر بغيظ ودخل منزله غاضبا وهو ينادي عليها بصوت عالٍ لتستيقظ

لتعد له الطعام، وهنا وقف مصدوما ولم يتحرك من هول ما رأى أمامه من مشهد.

***

صرخات وعويل استغاثات وصوت هديل، هكذا استيقظت القرية من جديد، كانت الصرخات عالية آتية من منزل متولي بن الزيات مريعة، تجمع الجيران وأهالي القرية أمام المنزل لمعرفة السبب. وكانت المجزرة الثالثة بقرية ميت رهينة داخل المنزل.

أتت أم عزيزة للاطمئنان عليها في الثامنة صباحا، كان باب المنزل مفتوحًا دخلت الأم تنادي على ابنتها، دخلت غرفة نومها لترى أبشع منظر لا يمكن أن تتخيل أن تراه في أسوأ كوابيسها. تمنت أنها لم تدخل، فالمنظر مريع فابنتها معلقة من أقدامها عارية تماما مقطوعة الرأس معلقة بسقف الغرفة كالذبيحة، ولقد بقر بطنها الجاني ليخرج أمعائها طويلة كالخرطوم بشكل مقزز بشع للخارج وربطها بطرف السرير، وكان جسد زوج ابنتها مذبوحًا وفصلت رأسه تماما وقطع

إلى جزأين متساويين علق كل جزء في ناحية، وكان جسد الزوجة في المنتصف، يبدو أن القاتل تسلي كثيرا، فيبدو أنه ربط الأمعاء الغليظة للزوج والزوجة مع بعضها ليكون ذلك الأنبوب الطويل الذي ينتهي بحافة الفراش الذي تكوم عليها الكثير من الدهون الغارقة بالدماء، والتي يبدو أنه اقتلعها ، وكانت أجساد أطفال ابنتها الصبيان على الأرض بدون رؤوس. مصلوبان كعلامة إكس، نظرت إلى جسد ابنتها المعلق، كانت هناك أجزاء مقطوعة من الفخذ والبطن، يبدو أن دهون ابنتها قد استفزته، نظرت للصبيين، كانوا مفصولي الرأس.

أخذت تصرخ وتولول، فمن الصعب أن ترى جسد أقرب الناس إليك في تلك الحالة، تجمع الجيران، شاهدوا بشاعة المنظر، لم يتحمل الكثيرون منهم فأفرغوا ما في بطونهم بتقزز، لحسن الحظ لم ترحل الشرطة بعد من القرية، فمازالوا يبحثون عن السفاح، وصل نضال وخالد ورجال الشرطة إلى موقع الحادثة بسرعة، وقاموا بمعاينة الجثث، لم يتحمل خالد هول

المنظر، شعر بالألم في معدته شديدًا وبالتقزز، أخرج ما في جوفه وخرج من المنزل يريد استنشاق هواء نظيف بعيدا عن رائحة تلك (الزفرة).

وصل رجال البحث الجنائي من جديد، وصلت سيارات الاسعاف وقوات الدعم، لقد انقلبت القرية رأسا على عقب من جديد، كانت الوجوه عابسة لا تتكلم، فمن شاهد حالة الجثث أصيب بصدمة ولم ينطق، ومن تكلم أخذ يزيد في وصف حالة الجثث .

اجتمع نضال وخالد بالعمدة، الذي أخذ يولول ويصيح كالنساء، لا يدري لما يحدث ذلك لمتولي وزوجته؟ فلقد كان رجلًا طيبًا ويحبه الجميع، حضر التحقيق سالم، لقد سمحوا له فلربما استطاع المساعدة، فما يحدث بالقرية شيء غريب من فعل الشياطين، فلن يفعل البشر هذا، جلس سالم في زاوية الغرفة وهو يستمع إلى التحقيقات وحديث العمدة وهو يولول :

- إنها لعنة شيطانية أصابت القرية، فلا يستطيع البشر فعل تلك الأمور والتمثيل بالجثث.

وبعدها استمع إلى كلام الأم المصدومة وهي تحكي له عما حدث ليلة أمس وخوف ابنتها من كلام المبروكة بعد أن أخبرتها بأنها هالكة، وتكررت أقوال الشهود من النساء عن كلام المبروكة للمرأة قبل موتها، جلس نضال يستريح، طلب قرص أسبرين وكوبًا من القهوة الثقيلة وأخرج لفافة تبغ، وينظر إلى خالد الذي اصفر وجهه وإلى سالم لعله يخبره ما الذي يحدث وأي مختل يستمتع بقتل الناس بتللك الطريقة ويأخذ الرؤوس معه، نظر سالم قائلا :

- السر عند المبروكة، أعتقد أنها تعرف من سيعيش ومن سيموت بالصدفة، ربما تشاهد شيئًا لا نراه وتعرف أن الشخص سيموت، كالطبيب الفرنسي الذي تحالف مع الشيطان ليريه من سيموت ومن سيعيش، فمن وقف عند رأسه عرف أنه سيموت فيرفض معالجته، ومن وقف الشيطان عند قدميه عرف الطبيب أنه سيعيش فيعالجه، فهناك شيء تراه الفتاة لا نراه نحن.

زفر نضال بغضب:

- ما هذا التخريف يا أستاذ سالم؟ فلا يعلم الغيب إلا الله، لا أصدق تلك القصة سامحني.

قاطعه خالد بصوت متوتر :

- هل تعلم، ربما ما يقوله الصحفي صحيح، ولكن ليس للموضوع دخل بمشيئة الله وتغيير قدر أحد، ربما من يقتل هؤلاء تراه حقا الفتاة، وبعدها يقتلهم بنفسه وليس لمعرفةِ بغيبٍ ولا شيء فالفتاة لا تعلم الغيب ولكنها ترى ما لا نستطع نحن رؤيته.

هز سالم رأسه بإعجاب شديد فما يقوله خالد منطقي جدا ويفسر كل شيء، ولكن السؤال ما هو الذي تراه الفتاة ولا أحد يستطيع رؤيته غيرها؟

قطع نضال حبل أفكاره قائلا :

- إذن السر كله عند المبروكة فهل ستخبرنا؟

نظر خالد وسالم إلى عيون نضال وهم يتساءلون هل ستتكلم المبروكة؟

وتذكروا كلمات العمدة ..

"لا تتكلم المبروكة إلا إذا أرادت أن تتكلم، فلا تجبرها على الحديث ولا تفزعها حتى لا تندم"

دخل أحد الجنود ليخبر نضال بأنهم عثروا على نفس التماثيل للجثث من شمع العسل خلف المنزل كما وجدوها بالسابق، نظروا لبعض بحيرة فما دخل التماثيل بعملية القتل فهل هناك قاتل متسلسل يترك بصمته المميزة بعد ارتكاب كل مجزرة؟

***

استيقظ مختار وهو يشعر بالألم الشديد في رأسه وأسفل ظهره، كان الصوت يتخلل عقله بهدوء وهو يردد :

- ماذا حدث لك يا ولدي؟

فتح عينيه مرة واحدة ليرى نفسه نائمًا على فراشه وزوجته وأمه وأخاه يلتفون من حوله، ردد بدهشة:

- ماذا حدث ؟؟

سمع صوت أخيه وأمه وزوجته بصوت واحد:

- هل أنت بخير؟

ردد بحيرة ممتزجة بالألم :

- لا أعرف أشعر بالألم والصداع، وضعت الأم يديها على رأسه وأخذت تردد بعض آيات القرآن الكريم وجسد ابنها ينتفض بقوة، نظرت إلى ابنها الكبير قائلة :

- اذهب وأحضر طبيب الصحة فأخوك محموم، وبعدها نظرت إلى زوجة ابنها :

- أحضري الماء البارد وضعي فيه الخل وقطعة قماش لخفض الحرارة لزوجك.

نظرت بهلع وأسرعت ..

استوقفت الأم ابنها قائلة بقوة :

- لا تخبر أحدًا بالدماء، فليس هذا الوقت المناسب لقول شيء.

هز رأسه ولم يرد، فماذا سيقول؟ فهو لا يفهم شيئًا، لقد استيقظت أمه فجرا على كابوس وأصرت أن تعود لمنزلها، فهي تشعر بأن مختار ليس بخير، فذهب الابن معها فوجداه على الأرض وبركة من الدماء بجواره لا يعرفان من أين كل تلك الدماء، نظفت الأم الدماء سريعا وطلبت من الابن أن يضع ابنها على الفراش وطلبت منه أن يذهب ليحضر زوجته من منزل أبيها، ولم يفق أخوه حتى الآن، نظرت الأم كثيرا إلى مختار وهي تتذكر كلماته يردد:

- لقد أحضرت ما تريد، الدماء، اتركه يعود أنا المذنب.

ربتت على رأسه وهي تردد:

- استرح يا ولدي سيكون كل شيء بخير.

عاد الابن ومعه طبيب الصحة، كشف سريعا وأعطاه حقنتين لخفض الحرارة، أخذ مختار يشير إلى أسفل

ظهره بألم بأن هناك نار تحرقه، رفع الطبيب الملابس ليرى، ويا ليته ما فعل، لقد شاهد الطبيب لحما متآكلًا بطريقة مقززة أسفل الظهر حتى أن عظام العمود الفقري كانت ظاهرة، لا يمكن أن يكون صاحب تلك الإصابة على قيد الحياة، نظر الطبيب مرارا بعيون مذعورة، صاح برعب:

- ما هذا، وكيف أصيب بهذه الجروح؟ وكأن هناك من التهم لحمه، لا أصدق.

شعرت الأم بالفزع، ورددت بصوت مبحوح :

- إنه الكلب، لا نعرف كيف عضه هكذا.

- كلب؟ إن ابنكم سيموت خلال أيام إن لم تذهبوا به للصحة لأخذ تطعيم.

وبعدها رحل الطبيب وهو غاضب، ونظر الابن الأكبر لأمه وهو يقول لها :

- أي كلب يا أمي، فكلب ابنك قد مات مع ابنه ؟

لم ترد الأم عليه، دخلت في تلك اللحظة الزوجة وهي تحمل فوطة غارقة بالدماء وجدتها قائلة:

- ما هذه الدماء؟

- 6 -

لا تُغضب المبروكة

جلست المبروكة وهي تضحك بعنف ويتدلى لسانها للخارج وهي تنظر إلى عيون نضال وخالد وسالم وحتى توفيقة اختها، ولم ترد على سؤال نضال وهو يردد :

- أخبريني كيف عرفت أن عزيزة سوف تموت وأخبرتها بأنها هالكة أمس، هل تتذكرين؟

نظرت له كثيرا وأخذت ترفع دميتها القطنية إلى وجهها وتخفضها ولم ترد، مما أثار غضب الرجل فصرخ بعنف :

- هيا أخبريني يا فتاة ؟؟

ازدادت ضحكاتها وأخرجت لسانها وأخذت ترفع دميتها وتخفضها بطريقة هيستيريا، ازداد غيظ الرجل واعتقد أنها تسخر منه، كان غاضبا متوترا مشحونا

بصور كل تلك الجثث التي تطارده وتريد القصاص، لم يشعر بنفسه وهو يأخذ منها دميتها القطنية ويلقيها بعيدا بغضب ويقول بقسوة:

- هيا أخبريني أيتها المجنونة، وهنا رفعت الفتاة رأسها إلى وجهه ونظرت إلى عيونه قائلة :

- أنت هالك.

وبعدها نزل شعرها الأسود على وجهها من جديد بطريقة غريبة ليغطيه، وأخذت تصرخ بهيستريا، وهنا اقتربت أختها منها وحاولت تهدئتها :

- لا تخافي يا تبارك وأعطتها دميتها، أخذتها الفتاة من بين دموعها وربتت على بطنها قائلة وهي تنظر لها بنصف وجه والنصف الآخر يغطيه الشعر الكثيف :

- أنتِ بخير.

ربتت توفيقة على كتف الفتاة بحنان، وبعدها نظرت بغضب إلى الضابط قائلة :

- ألا ترى حالتها، هل تعتقد أنها فتاة طبيعية لتعاملها بتلك القسوة، هل فقدت الرحمة من قلبك؟ فلن أسمح لك بذلك، هل تفهم، كان نضال يستمع للمرأة أمامه ولا ينطق بشيء فعقله مشغول بجملة الفتاة، هل أخبرته بأنه هالك، هل سيموت حقا؟

اقترب خالد من توفيقة قائلا :

- إن المقدم نضال لا يقصد شيئًا ولكن كل تلك الجثث والموتى في كل مكان، فأعصابه مشدودة أرجو أن تسامحه الفتاة، اقترب خالد بحذر من الفتاة التي تلعب بدميتها، جلس بجوارها قائلا :

- الضابط نضال لا يقصد أذيتكِ، هو فقط يريد أن يتحدث معكِ، فكيف عرفتِ بأمر موت عزيزة، هل رأيت القاتل يقف جوارها، وهنا صمتت ورفعت رأسها إليه قائلة بصوت عميق :

- برررررررررر

ردد الكلمة قائلا:

- برررررررررر، ماذا تقصدين، هل تريدين أن نرحل أم تقصدين شيئًا آخر؟

لم ترد عليه بل أخذت تلعب بدميتها، التفت إلى توفيقة قائلا:

- هل تقصد الفتاة طردنا؟

هزت توفيقة رأسها بحيرة أن لا تعرف، وهنا اقتربت هاميس الصغيرة ابنة توفيقة التي لم تكمل عامها الثامن، وكانت تجلس بزاوية من الغرفة تشاهد ما يحدث قائلة لهم بصوت طفولي:

- أنتم لا تفهمون شيئًا إن تبارك لا تقول لكم اخرجوا بل تقول لكم البئر.

نظروا لها جميعا بدهشة في نفس التوقيت:

- وكيف عرفتِ يا هاميس؟

- هي من أخبرتني.

وهنا التفتت المبروكة إليها مرة واحدة وقذفتها بالدمية القطنية في وجهها بقوة قائلة بصوت غاضب :

- أنت هالك.

وهنا انفجرت الصغيرة بالبكاء والصراخ وهي تقول:

- سامحيني يا تبارك، لم أقصد شيئًا.

ولكن الفتاة قامت لتخرج من الغرفة وتتركهم جميعا في ذهول، حتى توفيقة احتضنت ابنتها الصغيرة بقوة وأخذت تبكي بقهر، كان نضال وجهه أصفر، فكلمات الفتاة أثرت فيه، لن يكابر ويقول لا، فتلك الفتاة تعرف وترى شيئًا لا يستطيعون هم رؤيته ....

أخذ سالم يفكر في كلمة الفتاة " البئر" ماذا تقصد؟ لابد أن يبدأ جمع معلوماته ..

***

جلست حميدة وتهاني وعمتهم هدى ومعهم توفيقة في شرود يبكين بقهر، فكل امرأة تبكي حالها، إلا

توفيقة، كانت تخاف على ابنتها من كلمات اختها تبارك، فهل حقا ستموت؟ لقد أخبرتها الفتاة بأنها هالكة كما أخبرت عزيزة التي ماتت في اليوم التالي فماذا ستفعل؟ اتصلت بزوجها لتخبره بما حدث، كانت تريد الرحيل ولكن الشرطة منعتها ومنعت أي شخص من أقارب الضحايا بمغادرة القرية احتضنت ابنتها وطفلها الصغير وأخذت تبكي، قالت لابنتها :

- هاميس لم لا تذهبين لمصالحة خالتك واللعب معها؟

- لا أريد يا أمي.

- لماذا حبيبتي؟ هيا تعالي لنذهب معا.

كانت تحاول أن ترضي المبروكة وتجعلها تغير رأيها، ولكن الفتاة الصغيرة قالت :

- لن تسامحني المبروكة يا أمي ..

ونظرت إلى خالاتها وأكملت :

- ولن تسامحكن أنتن أيضا.

نظرت لها النساء برعب وأخذت كل واحدة تنظر إلى أطفالها بقهر ولم يتحدثن، وهنا قالت هدي بخبث لتقطع حبل أفكارهن :

- لما لا نحاول إرضائها وجعلها تسامحنا؟

ذهبن جميعا إليها، كانت تجلس على الأريكة، وهنا اقتربت منها عمتها هدى قائلة :

- حبيبتي هل أنت غاضبة منا؟ نحن لا نقصد شيئًا.

وأعطتها قطعة من الحلوى، نظرت لها تبارك ورفعت عينيها إليها بغضب ونظرت إلى الحلوى وأخذتها منها وشمتها كثيرا وبعدها وقفت لتحاول وضعها في فم عمتها بالقوة، أخذت تغلق فمها وتصيح:

- لا أريد الموت.

نظرن لها جميعا بدهشة لا يفهمون شيئًا فقالت هدى بهيستريا :

- نعم وضعت لها السم بالحلوى لتموت وتريحينا، فلن أموت ولن أخسر أولادي بسبب تلك المجنونة، هي التي يجب أن تموت وليس نحن.

شهقن جميعا بفزع لا يتصورن أن تفعل عمتهم هذا وتحاول تسميم أختهم، وهنا قالت الفتاة بغضب وبصوت قوي عميق :

- أنت هالك.

وبعدها قامت لتغادر المكان وتدخل غرفتها وتدفن وجهها بالفراش ومازالت تحتضن دميتها، صرخت توفيقة في عمتها قائلة:

- ماذا كنتِ تريدين أن تفعلي! هل تريدين قتلها؟ يا لكِ من قاسية القلب.

- أختك تقول بأن ابنتك ستموت يا توفيقة، هيا تذوقي من الكأس فلم تفلح لعبتك.

وبعدها غادرت لمنزلها، ورحلت تهاني هي الأخرى وبقيت حميدة تبكي في منزلها لا تريد أن تظل تلك الفتاة عندها، سوف تضعها في مستشفىً للمجانين لن تحتفظ بها في منزلها، ودخلت لتنام.

***

ذهب نضال وكلمات المبروكة تتردد في عقله "أنت هالك" فهل سيموت حقا؟ لاحظ زميله توتره وخوفه منذ خروجهم من منزل الفتاة فقال محاولا تخفيف الأمر:

- لا تجعل كلمات الفتاة تخيفك يا نضال وتؤثر فيك.

رد بصوت مهزوز متوتر:

- لست متوترًا ولكن أفكر ماذا تقصد بكلمة " البئر" وهل هناك آبار بالقرية؟

رد عليه سالم وهو يسير بجوارهم :

- عمدة القرية هو من سيخبرنا.

هزا رأسيهما ولم يردا، سمعوا صوت أذان العشاء، قرروا الذهاب لأداء الصلاة وغدا يذهبون للعمدة ليسألوا عن البئر بالقرية، بعد الصلاة تفرق كل واحد في طريقه.

- 7 -

جثث كثيرة

كان سرحان ابن عبد المطلب ابن شيخ الغفر ذاهبًا إلى أرضه صباحا ليتعثر في ذلك الجسد الملقى على الأرض، يا للمصيبة إنه جسد بلا رأس، صرخات من جديد تصدر من بيوت مختلفة ومتفرقة من القرية الملعونة شمالًا وشرقا جنوبا وغربا ..

فهذا منزل توفيقة استيقظت لتجد اختها حميدة مذبوحة في غرفتها هي وزوجها وبجوارهم ابنتها الصغيرة هاميس، إنه نفس أسلوب القاتل البشع، اقتلع الرؤوس وترك الأجساد مع القليل من الدماء، صرخت بهيستريا لقد كانت ابنتها تنام في حضنها طوال الليل، لا تعرف كيف استيقظت من نومها وذهبت لغرفة خالتها، كيف قتلهم القاتل ولم يشعروا به؟

صرخات على الطريق وهمسات مصحوبة بالذعر والترقب :

- إن الجثة تبدو لضابط الشرطة قوي البنيان، فمازال سلاحه الرسمي في جيب سرواله، أين اختفت رأس الرجل لتؤكد شكوكهم؟ لا يعرفون ..

صرخات من جهة الشمال، منزل هدى تعالت الصرخات عالية منذرة بالشؤم، إنها هي، وجدوها معلقة في سقف حجرتها هي الأخرى مفصولة الرأس عن الجسد، لا يعرفون أين رأسها! لقد دخلت عليها ابنتها صباحا لتجد هذا المشهد أمامها، أمها معلقة بخطاف من قدميها، هناك من فصل الرأس والذراعين بطريقة مقززة، لقد عذبت تلك المرأة جدًا واستمتع القاتل بتشويهها وقطع أثدائها بقسوة، ولكن كيف وجد الوقت الكافي لفعل كل هذا؟ لقد كانوا جميعا بالمنزل ..

صرخات أخرى من جهة الشرق، منزل تهاني، يا للمصيبة جثتان أخرتان لتهاني وزوجها، هل كانتا معلقتين تلك المرة؟ لا لم يكونا معلقتين أبدا بسقف الغرفة، بل كانا على الأرض مبقورة بطونهما وشق القفص الصدري لهما بآلة حادة ، كانت الدماء تلوث الجدران بطريقة مقززة، دماء ودماء، أحشاء وأمعاء

ورائحة (زفرة) كريهة وأنفاس الموت تحيط بالغرفة ثقيلة مقززة

إن كان للموت رائحة ستشمها حتما في ذلك اليوم إن خطت أقدامك أرض القرية الملعونة.

قرية ميت رهينة ، قرية الأجداد والفراعنة ، قرية الأمجاد والأباطرة، ولكنها اليوم هي قرية الأموات بلا منازع، ولا منافس لها، فاليوم انقلبت الدنيا فأحاطت قوات الشرطة والجيش القرية وطوقتها بالدروع والدبابات، فلن يسمحوا لأحد بالخروج من القرية قبل معرفة مرتكب تلك المجازر الوحشية والقبض على السفاح المجنون الذي يزهق الأرواح كيفما يشاء، ويحتفظ برؤوسهم ويترك خلفه تماثيل للموتى من شمع العسل، معتوه مجنون فهل يعقل أن تختفي ثلاثون رأسًا مرة واحدة، وهل يعقل أن يقتل كل هؤلاء ويتم العبث بأجسادهم دون أن يشعر أحد بشيء؟ ...

تحقيقات، مخبرين شرطة، ومفتشين، في كل مكان رجال بحث يرفعون البصمات ..

قوات الجيش تفتش المنازل بحثا عن أي دليل ولكن دون جدوى ولا فائدة، وقف خالد يبكي قهرًا زميله نضال، فكيف قتل؟ لقد صلوا العشاء وأخبرهم بأنه سيعود إلى منزله بالقاهرة لأنه مرهق، وتركه مع سالم يتحدثان عن البئر ...

صرخات وعويل كلما اقتربت من منزل من منازل العائلة، وجلست هي تحتضن دميتها وتجلس أمام الدار بهدوء تام وكأن شيئًا لا يعنيها سوى دميتها القطنية الملوثة، لا تتحرك، ينزل الشعر الأسود على وجهها ليعطيها قوة ورهبة أمام من يراها، وتدندن بلحن أغنية ما، ومن سيهتم بتلك الفتاة ويوليها اهتماما؟ كان رجال البحث الجنائي منشغلون يرفعون البصمات، والشرطة تحقق، والنساء تصرخ وتولول، ورجال الإسعاف يرفعون الجثث، سيمفونية كئيبة حقا ومقززة، سئم المرء من تكرارها الممل.

اقترب بحذر شديد، كان يعرف أن أجوبة كل شيء عندها هي فقط، إنه المتطفل السخيف سالم منصور

الصحفي، أخذ ينظر لها كثيرا، رفع شعرها عن وجهها وأعاده للخلف وجلس بجوارها قائلا بهدوء:

- هل أنت سعيدة الآن بعد موت كل هؤلاء؟

لم ترد عليه، أكملت دندنة الحن الغريب، كان يشعر أنه سمع ذلك اللحن من قبل، أكمل بهدوء:

- أعرف أنك تعرفين ما يحدث، فهل أنا مخطئ؟

لم ترد عليه أيضا، أكملت لحنها بهدوء وهي تنظر إلى دميتها القطنية التي تلوثت بالدماء فتغير لونها واتسخ، وهنا وجد نفسه يدندن نفس اللحن الكئيب معها ويصدر أصواتا غريبة بفمه، توقفت هي مرة واحدة عن اللحن، ولكنه أكمل وهو يبتسم، نظرت له وأخذت تضحك بعدها بسعادة ولسانها متدلي خارج فمها، وبعدها قالت :

- تبارك جاع.

نظر لها قائلا :

- هل تريدين الأكل يا تبارك؟

- نعم جاع.

وأشارت إلى بطنها. ابتسم لها وأخذها من يدها قائلا :

- تعالي سأحضر لك الطعام.

أخذها لأقرب محل بقالة واشترى لها الطعام وما تريد من حلوى. أمسك يدها عائدين للمنزل، ولكنها توقفت مرة واحدة لا تريد العودة للمنزل وهي تنظر للجهة الأخرى من الطريق ..

قال لها سالم :

- ماذا هناك يا تبارك لماذا توقفت ؟

لم تتكلم بل أمسكته من يده وذهبت به إلى طريق آخر، لم يدر سالم ماذا تفعل الفتاة، ولكنه كان يشعر بأنها تريد إخباره بشيء، نظرت له قائلة :

- أنت بخير.

وأشارت إلى أحد المنازل بيدها وتوقفت، وقف سالم حائرا وسألها :

- لا أفهم، ماذا يوجد بالمنزل؟

لم ترد عليه بل أخذت تضحك كعادتها وتخرج لسانها للخارج، وبعدها تركت يده وأخذت تجري باتجاه منزلها وكأنها تطير ولم تلتفت إليه، نظر لها مندهشا، فهل يجري ورائها ليلحق بها أم يذهب للمنزل ليعرف ماذا يوجد بداخله، فلماذا أحضرته لهذا المنزل!؟ لا يدري، إحساسه كصحفي وفضوله وحبه لخوض المغامرة جعله يذهب باتجاه المنزل ويترك الفتاة تعود إلى المنزل، فمن سيستطيع إيذاء المبروكة بالقرية كلها والناس تخشاها كالموت؟ واتجه ناحية المنزل بفضول شديد.

***

كان مختار مايزال محمومًا، فحرارته لا تنزل بالرغم من خافضات الحرارة والمضاد الحيوي، وكان يخرِّف بالكثير من الكلمات " دماء، لعنة، أنا السبب، الموتى،

الرؤوس، الأرواح عالقة، " شعر الأخ الأكبر بالخوف من أخيه، فحالات القتل التي حدثت بالقرية والجثث التي وجدوها بغير رؤوس جعلته يخاف من تخاريف أخيه، فهم لا يعرفون ماذا حدث له وما تلك الدماء التي وجدوها بالمنزل، نظر لأمه قائلا :

- أمي ماذا يحدث؟

- لا أعرف ماذا حدث يا ولدي صدقني؟

- سأبلغ الشرطة، ربما كان يعرف شيئًا، أو هو القاتل.

- هل جننت يا ولدي، هل تريد أذية أخيك؟ فهو لا يستطيع قتل دجاجة.

- وماذا عن تلك الدماء ؟

هزت رأسها وهي تقول برجاء:

- لا أعرف يا بني، ولكنه ليس مختار أبدا من قتل الجميع.

- وماذا عن إصابة ظهره؟ إن لحمة يتآكل يا أمي، لابد أن نبلغ المركز أرجوكِ استمعي إلي.

- لا يا ولدي، إياك أن تبلغ الشرطة عن أخيك، سأغضب عليك ولن أسامحك حتى أموت.

زفر بغضب وتركها ورحل وهو لا يفهم شيئًا.

كانت هي تقف خلف باب الحجرة وسمعت حوارهما وعرفت الحقيقة فزوجها هو القاتل الذي يبقر البطون ويخرج الأحشاء ويقطع الرؤوس، هل ستصمت حتى يقتلها هي الأخرى مع ابنها الرضيع؟ ستهرب لتبلغ الشرطة، خرجت من المنزل مسرعة لتصطدم به بقوة، اعتقدت أنه أحد رجال الشرطة فقالت له بفزع قبل أن يتكلم :

- لم أكن أعرف أنه القاتل أقسم لك، أنا أريد أن أربي ابني، قل لي أنك لن تؤذيني وسأخبرك بكل شيء، ابتسم سالم بانتصار، فيبدو أن الفتاة دلته على القاتل، فحقا تلك الفتاة مبروكة وتعرف كل شيء كما يقولون.

- 8 -

البئر الملعونة

جلس سالم مع الأم ومختار في الغرفة، فلقد أخبرته الزوجة كل شيء عن مرض زوجها وعن كلام حماتها مع ابنها، تنحنح سالم وهو ينظر إلى مختار النائم على الفراش يتألم قائلا :

- هل أنت من قتل الجميع يا مختار؟؟

لم يرد مختار عليه بل أشاح بوجهه إلى الجهة الأخرى، وهنا قالت الأم برجاء وبصوت مبحوح:

- لا يا ولدي، فلم يفعل ابني شيئًا أقسم لك.

نظر لها سالم بحيرة ثم قال وهو يهز رأسه:

- أنا أريد أن أسمع منه، هو من يجب أن يقسم ويقول أنه لم يفعل.

وبعدها أشاح بوجهه ناحية مختار وقال بصوت عالٍ :

- هل أنت من قتل الجميع بالخارج؟ أخبرني، ربما استطعت مساعدتك يا مختار، وإلا ذهبت لإبلاغ الشرطة، هم سيجعلونك تتكلم صدقني، فلهم طرقهم.

انتظر دقائق وبعدها التفت ليواجه الصحفي قائلا :

- هل ستصدقني إن قلت لك لا أعرف ؟

- لا أفهم ما الذي تقصده، فليس هناك سوى إجابة واحدة للسؤال، نعم أو لا.

وهنا انهار الرجل بالبكاء الحار والعويل كالأطفال قائلا :

-لا أعرف إن كنت أنا أم لا، أقسم لك هذه هي الحقيقة.

وبعدها نظر إلى أمه وكانت تبكي مرددة:

- لا لست أنت، أنا أعرفك لا تستطيع قتل دجاجة يا مختار.

وهنا قاطعها سالم قائلا :

- أرجوك يا أمي دعيه يتكلم ويخبرنا ما يحدث معه ويكمل قصته. صمتت الأم وهي تنظر إلى ابنها برجاء وأشاح هو بوجهه من جديد وهو يقول:

- سأخبرك بكل شيء، وأخبرني أنت هل أنا القاتل أم لا.

***

عادت المبروكة مسرعة إلى المنزل وكأنها تطير على الأرض وهي تفرد ذراعيها، وصلت إلى منزل أختها، وكان مايزال المسعفون ورجال الشرطة يتكدسون بالمنزل كالذباب، والصرخات مازالت تتعالى هنا وهناك، جلست هي بهدوء أمام باب المنزل واحتضنت دميتها ونزل شعرها يغطي وجهها، وضمت ركبتيها أمام وجهها ولم تتحرك، وكأن شيئًا لا يعنيها مما يحدث، كان منظرها مخيفًا غامضًا يثير التوتر في النفس والفزع، فهل تفزع النفوس من طفلة؟! لا بل تفزع من صمت المبروكة القاتل، فهو الهدوء الذي يسبق العاصفة.

خرجت توفيقة وهي تصرخ بهيستريا خلف المسعفين وهم يحملون جسد طفلتها على المحفة، ترفض المرأة

أن يأخذوا ابنتها بدون رأسها، ويحاول رجال الشرطة إبعادها بالقوة، وهنا لمحتها تجلس ولا تتكلم، وبهدوء مستفز.

ذهبت إليها مسرعة وهي تصرخ بهيستريا :

- لماذا، لماذا، لقد كانت تحبك يا مبروكة ؟

رفعت وجهها لتنظر إلى أختها من وراء شعرها قائلة :

- أنت بخير.

وهنا ثارت بغضب وهجمت عليها بقوة وهي تردد :

- لا أريد أن أكون بخير، أريد ابنتي، ارجعيها لي يا مبروكة ارجعيها لي، أخذت الفتاة تزوم بصوت عالٍ وتهز رأسها يمينا ويسارا وتصرخ.

تدخل رجال الشرطة لتخليص الفتاة التي كانت ستموت وبعدها سقطت توفيقة فاقدةً للوعي، اقترب أحد المسعفين وأعطاها حقنة مهدئة وهو يردد :

- انهيار عصبي حاد من تأثير الصدمة.

حملها المسعفون على المحفة كما يحملون الأموات والجثث.

وقف الزوج مذهولا وهو يحمل طفله الرضيع ولا يصدق أن يكون كل ما يراه حقيقية وأن قُطعت رأس ابنته الوحيدة، هناك شيء خاطئ، لابد أن يستيقظ من النوم الآن.

***

نظر مختار إلى وجوههم مرة أخرى ثم تنهد بألم :

- بدأ كل هذا عند موت ابني على سياج البئر لقد كانت جثته زرقاء خالية من الدماء، لقد ابتلع البئر دماء ابني، كنت غاضبا حزينا أشعر بالذنب، فأنا السبب فيما حدث.

صمت قليلا، وبعدها نظر بحدة إلى عيونهم مكملا :

- سأخبركم بالحقيقية .. فلم أعد أستطيع التحمل أكثر من هذا، نعم أنا السبب فيما يحدث.

هز سالم رأسه بحيرة، هو لا يفهم شيئًا، ولكن هناك بئر فهذا شيء جميل، إذا من هنا بدأ كل شيء كما دلته المبروكة، استمع إلى كلمات مختار:

- مات ابني .. كنت غاضبًا من زوجتي ومن أمي ومن كل شيء، كنت أعتقد أنهم هم السبب في موته، طردتهم من المنزل وقررت الانتقام من البئر، قررت هدمه في الليل، أحضرت الفأس وقررت تكسير البئر، وضعت السلم للقفز من فوق السياج الحديدي، وقفزت وأنا أردد "لابد أن تنتهي أيها اللعين" اقتربت بغضب وأنا أرفع الفأس عاليا، لا أعرف ماذا حدث في تلك اللحظة، لقد شعرت وكأن هناك من أمسك يدي بقوة كبيرة ليوقفها، سقط الفأس من يدي وشعرت بمن يدفعني تجاه البئر، أخذت الأبخرة الحمراء تتصاعد من داخل البئر بطريقة غريبة، اعتقدت أنه سينفجر في وجهي، شعرت بالاختناق، كنت أريد الصراخ لكني لم أستطع، وهنا ظهر هو من داخل البئر، خرج طائرا لا

أعرف كيف ولا ما هذا الشيء، كان أسود قبيحًا مرعبًا، أخذ ينظر لي .. وبعدها فقدت الوعي ...

قاطعة سالم بفضول:

- وماذا حدث بعدها؟

- لا أعرف ماذا حدث بعدها، فلقد استفقت على ألم شديد أسفل ظهري وأنا خارج السياج، ذهبت إلى الفراش لأنام ويومها رأيته لأول مرة في منامي، وجدت نفسي في مكان غريب والدماء تلطخ جدرانه ورائحته كريهة، كانت رؤوس الموتى معلقة في كل زاوية من زوايا الغرفة الحمراء، والدماء تتساقط منها بشكل يثير الغثيان أخرجت كل ما في جوفي وشعرت بالألم الشديد ورغبة في الصراخ، وهنا ظهر هو، كان جالسًا فوق طاولة خشبية مرتفعة عن الأرض وكأنه طائر يرتدي زيًا فرعونيًا غريبًا أسود اللون قصيرًا، كان مغمض العينين يبدو نائما، فتح عينيه مرة واحدة ونظر لي نظرة لن أنساها ما حييت، وشعرت بأنه اخترق جسدي ودخل بداخله لا أعرف كيف، ولكن هذا

هو شعوري وقتها، حاولت أن أتكلم ولكني لم أستطع، سمعت صوته الغاضب يقول "كيف تجرؤ على إزعاج سفير الشيطان على الأرض أيها الأحمق ؟".

نظرت له وحاولت قول "لم أقصد فعل شيء" ولكنه رفع يده عاليا فشعرت بالألم الشديد في جسدي وكأنهم يعصرونني، صرخت بألم، سمعت صوته الغاضب :

- إنك ملكي أيها الفاني، وجسدك هو طعامي، بعدها مد يده فاستطالت بطريقة غريبة واقتلع قطعة لحم من أسفل ظهري وأخذ يلوكها بين أسنانه وهو يضحك مكملا:

"المزيد والمزيد من الدماء الطازجة هي ما يريده سيدي ليكمل طقوسه .. دم لشيخ قد هرم وابيض شعره وسقطت أسنانه وقواطعه .. دم لعجوز شمطاء انقطع الحيض عنها .. دم لعذراء لم يمسسها بشري ولا جني .. دم لشاب لم يرتكب الفاحشة .. دم لصبي قد احتلم .. دم لطفل رضيع .. دم لامرأة قد تزوجت ..

المزيد من الدماء الساخنة والأرواح العالقة بالرؤوس هي ما يريده سيدي .. وسيحضرها له سفيره على الأرض" ..

وقتها نظرت برعب، ومازالت كلمات الرجل الفرعوني تتردد في أذني عالية، أخذت أنظر له وقلبي يدق بشدة، وبعدها سمعت الصرخات العالية قادمة من صندوق أحمر أسفل الطاولة التي يجلس عليها أشار الرجل بيديه فهبطت طاولته لتقف على الصندوق ويختفي الصراخ، هناك شيء بداخله، يبدو الصندوق ملطخا بالدماء، جلس الرجل فوق الصندوق وبعدها اختفى كل شيء وسمعت صوته يزأر : "اصمتوا جميعا فأنتم ملكي"..

وبعدها استيقظت من النوم على خبر مقتل كل عائلة المهارنة والرحيمة، وكنت نائما في منتصف المنزل وظهري ينزف بغزارة لا أعرف هل أنا القاتل أم لا!.

نظر سالم بتوتر إلى عيني مختار وهو يرى الصدق كاملا فيهما، ونظر إلى الأم وكانت تبكي وهي تردد :

- لا يا ولدي أنت لم تقتل أحدًا ...

قاطعها سالم وهو يسأل ابنها:

- وماذا حدث بعدها يا مختار؟

- لا أعرف، لقد رأيت الرجل الفرعوني ثلاث مرات وفي كل مرة أراه فيها أستيقظ لأجد نفسي غارقا في الدماء والألم يزداد أسفل ظهري، فهو يقتلع منه اللحم ويلتهمه، وعندما أستيقظ أعرف بخبر القتلى واختفاء الرؤوس وأنا أعرف أين هي ..

إن سفير الشيطان يحتفظ بالرؤوس داخل صندوقه الأحمر أيها الرجل، فلقد رأيته أمس مفتوحا في منامي ورأيت رؤوس الجميع تستغيث.

***

- 9 -

لعنة الأجداد

وقف سالم ينظر إلى البئر بفضول شديد بعد أن استمع إلى قصة مختار، وطلب من العجوز أن تدله على مكان البئر، ذهبت المرأة معه وهي تكتم دموعها قائلة بصوت مخنوق لتقطع حبل أفكاره :

- إن ابني لم يقتل أحدًا يا ولدي، فأنا أعرفه لا يستطع قتل دجاجة صدقني، ولكنها البئر الملعونة هي السبب فيما حدث له بعد أن لوثها بالحبر عندما كان صغيرا، فسكان البئر يطاردونه للانتقام، لم يستمع لي ويبتعد عن البئر ولعنتها ولكنه كان أحمق وغبي، ولكنه طيب صدقني.

ردد سالم بشرود :

- أخبريني عن هذه البئر ما هي قصتها ؟

تنهدت العجوز بحزن قائلة:

- إنها لعنة الأجداد القدامى، وقصتها توارثتها الأجيال جيل من بعد جيل، ومحظور على أحد الاقتراب منها، فمن اقترب منها تمت معاقبته من حراس البئر، لقد سمعت القصة من جدتي العجوز، دوما كانت تحذرنا من لعنة البئر ومن سكانها وأخبرتنا بأن الشر يسكن في قلبها وينتظر الفرصة للخروج، فهو يحارب كل ليلة قمرية محاولا الفرار ولكن الحراس يمنعونه، فهو يريد الدماء وإن تذوقها خرج وتحرر من سجنه الذي حبسه فيه الأجداد، كنا ننتظر الليالي القمرية حتى نرى تلك الأبخرة الحمراء التي تخرج من قلبها برعب وبعدها نهرع إلى فراشنا ونختبئ بفزع، كنا نخاف أن نقترب منها فكل من حاول الاقتراب تم إيذائه، فمنهم من كسرت ساقه أو يده، أطفال كثيرون يا ولدي تمت إصابتهم عندما اقتربوا منها، فلم تفرق البئر يوما بين صبي ولا شاب، قرر جدي صناعة سياج من الحديد حول البئر حتى لا يقترب أحد منها، ترك الجميع المنزل خوفا على أطفالهم من لعنة البئر ولكن زوجي وابن عمي لم يفعلا وأوصاني ألّا أفعل، فمن سيحمي الناس من شرها، ولم أترك المنزل فارغًا ولكن أطفالي هجروه

واحدا بعد الآخر إلا مختار، هو من بقى معي بالدار هو وزوجته وأطفاله، وبعدها مات طاهر ابنه ..

وبعدها أخذت تبكي بقهر .. تذكر سالم في تلك اللحظة كلمات أمه :

"فلا تقهر عجوزًا ولا تنهرها فأنت يا ولدي لا تعرف أبدا قوتها"

أمسك سالم يد العجوز بحنان وأدخلها للمنزل وهو يردد :

- لا تقلقي يا أمي سيكون كل شيء بخير إن شاء الله.

نظرت له العجوز قائلة:

- هل ستساعد مختار ولدي؟

- سأساعده إن كان ليس مذنبًا ثقي بي.

رددت العجوز بصوت غامض:

- حتى إن كان هو من قتلهم فليس هو من فعل بل الشيطان بداخل جسده هو من فعلها.

لم يرد سالم بل نظر إليها طويلا وهز رأسه بنعم هو يعرف.

دخلت العجوز ببطئ تستند على عكازها الخشبي وأخذ هو ينظر لها ويفكر، هو لا يفهم ماذا حدث! وما قصة البئر الحقيقية! هو يعلم أن مختار تلبسه شيء كان يسكن البئر منذ آلآف السنين، وهو ما جعله يفعل ما فعل دون إرادته، فهو ضعيف هزيل الجسد لا يستطيع قتل كل هؤلاء الناس مع أحجامهم الكبيرة، ولكن لماذا يفعل الشيء ذلك بجسد مختار، ولماذا يؤذيه وهو الذي يساعده، فإصابته بالغة، هناك جزء مفقود في تلك القصة، وشيء لا أفهمه ...

قطع حبل أفكاره تلك الصرخات المريعة، وكأن هناك من يُسلخ جلده أو يحرق وهو حي، اقترب الصحفي من مختار قائلا برعب وهو ينظر بفضول إلى إصابته

البالغة، فلقد كانت خطيرة ومستبشعة، قال بتوتر وهو ينظر للعجوز :

- لابد من الذهاب للمستشفى الآن فحالته خطيرة وتسوء إن لم يذهب سيموت ..

وقبل أن يكمل جملته اقتحم رجال الشرطة المنزل بدون أي إنذار وفي مقدمتهم الضابط خالد وكانت نظرات الغضب والشرر تتطاير من عينيه، نظر بغضب إلى مختار الذي يصرخ، وبعدها نظرة نارية إلى سالم، فلقد كان الرجل حزينًا غاضبًا لموت صديقه لسنوات، الضابط نضال، قال بصوت فذ لرجال الشرطة :

- ألقوا القبض عليه الآن.

صرخت العجوز بحزن :

- لا ولدي لم يفعل شيئًا.

رد عليها خالد بصوت غاضب:

- لقد قام أخوه بإبلاغنا بكل شيء فأرجو التزام الصمت.

وهنا قال سالم :

- استمع لي يا خالد، إن الرجل يحتاج لسيارة إسعاف فحالته خطيرة وسيموت.

نهره بغضب:

- ما دخلك أنت بالأمر، كيف تخفي عن الشرطة معلومات هامة وتعيق عمل القانون؟ هل تدري، ربما أخذتك معه بتهمة إخفاء معلومات عن العدالة؟

زفر سالم بغيظ وهو يقول لرجال الشرطة الذين يدفعون مختار بقوة:

- انتظروا.

وبعدها رفع جلباب الرجل من الخلف ليريهم إصابته الخطيرة وهو يكمل :

- انظر إلى إصابته أولا وبعدها تكلم.

نظر خالد لإصابة الرجل برعب شديد وأشاح بوجهه متقززًا، إن إصابة الرجل خطيرة .. وكأن هناك من اقتلع أجزاءً من لحم الرجل بطريقة مرعبة، حتى جنود الشرطة شعروا بالتقزز، وهنا نظر لهم مختار بتوتر وابيضت عيناه تماما وخرج الزبد الأبيض من فمه وبعدها سقط فاقدا للوعي، ونظر الجميع إليه وكان جسده ينتفض بقوة ويصارع نوبة من الصرع والتشنجات وأخذت العجوز تصرخ بلوعة مرددة:

- ولدي لقد سكن جسدك الشر واستباحه.

أخذ الجميع ينظر له وهم لا يعرفون كيف يتصرفون، صرخ خالد بغضب:

- اتصلوا بالإسعاف لا أريده أن يموت الآن.

أخذ سالم ينظر لجسد الرجل الملقى على الأرض ينتفض، يبدو أنه يصارع الشيء بداخله.

وهنا دخلت هي مرة واحدة بثوبها الأبيض ودميتها القطنية، لا يعرفون من أين ظهرت تلك اللعينة، فدوما هي تثير الرعب في نفوسهم رغم حجمها الصغير وذلك الشعر الأسود الطويل الذي يغطي وجهها دوما، ومشيتها وصمتها دوما مخيف ولا تظهر إلا في أوقات غريبة ووسط الجثث والأشلاء، غريبة حقا هذه الفتاة ومرعبة ولا يعرفون لماذا لا يستطع أحد إيقافها ومنعها من الدخول.

شهقوا بفزع عند رؤيتها ولم يحاول أحد إخراجها من الغرفة، لم تهتم هي بوجودهم، وكأنها تعرف طريقها جيدا اقتربت من جسد مختار ووضعت يدها على رأسه وهمست في إذنيه بكلام لم يسمعه أحد ثم قالت :

- أنت بخير .. وبعدها مسحت رأسه بيديها الصغيرة.

وبعدها هدأ جسد الرجل تماما وضحكت العجوز بسعادة، فلقد بشرتها المبروكة بأن ولدها بخير إذن هو بخير ولن يموت.

" فاحذر من المبروكة إن قالت لك أنك هالك ولا تغضبها، فكم شخص قالت له أنه هالك فمات بعدها بأيام قليلة "

***

حمل رجال الإسعاف جسد مختار إلى المستشفى وكانت حالته حرجة، وجلس خالد مع سالم وعمدة القرية يستمع إلى قصة البئر الملعونة، التي تتسبب في مقتل الكثيرين، أعاد العمدة نفس كلام العجوز وأقاويل القرية منذ الأجداد ولعنة البئر التي توارثتها الأجيال والدخان الأحمر الكثيف الذي يخرج في الليالي القمرية، وأخبره قصة الساحر الذي حبسه الأجداد أسفل البئر ويحاول هو الخروج ولكن حراس الأجداد يمنعونه، لذلك ابتعد الجميع عن المكان لأن من اقترب تمت أذيته، فلا يفرق الحراس بين رجل وشاب أو بين عجوز وطفل، كلهم سواسية عند حراس البئر ما داموا أحياء وبأجسادهم الدماء، هكذا أخبره جده القصة، فهم يتولون مسئولية القرية منذ القدم جيلا بعد جيل لا تخرج العمودية من منزلهم.

ولقد تولت عائلة مختار رعاية البئر منذ سنوات طويلة، ربما منذ إنشاء البئر وهم يتوارثون البئر والأرض من حوله أجيالا وراء أجيال ..

استمع خالد وسالم قصة العمدة بتعجب، هز سالم رأسه قائلا :

- ربما كانت اللعنة حقيقية ومن بالبئر استطاع الخروج لسبب ما وتلبس جسد مختار وقام بقتل الجميع ولكن لماذا؟ لا أفهم ..

هز العمدة رأسه بحيرة هو أيضا لا يعرف، فما عليه سوى حماية القرية، وحماية البئر مسؤولية عائلة مختار ... قاطعهم خالد :

- أريد رؤية هذه البئر أيها العمدة عن قرب ..

ذهبوا معا إلى سياج البئر، كان محاطًا بالحديد ولكنه ظاهر من خلفه، نظر خالد بتمعن إلى البئر وأخذ يلف حولها، كانت صامتةً كئيبةً في مكانها، منظرها حقا

مهيبًا، تثير الفزع في النفس، عليها الكثير من النقوش والرسومات الفرعونية قال بشرود :

- انظر يا سالم هناك بعض النقوش على حافة البئر، ربما كانت القصة، وهنا نظر العمدة بفزع ورعب وأخذ يلف كالمجنون حول سياج البئر ويركض وهو يصرخ وعيونه بارزة تكاد تخرج من محجريها من شدة فزعه، وجسده يرتعد، صرخ قائلا :

- يا للمصيبة يا للخراب الذي سيحل على قرية ميت رهينة ماذا فعلت ليحدث كل هذا في عهدي.

نظر له خالد وسالم بدهشة في نفس الوقت وتساءل خالد بتوتر:

- ماذا هناك أيها العمدة، فهل هي المرة الأولى التي تري فيها البئر، لا أفهم !؟

صرخ العمدة بذعر :

- أنتم لا تفهمون شيئًا، فلم تكن هناك أي نقوش على جدران البئر يوما منذ مئات وربما آلآف السنين، لقد كانت الجدران صماء تماما، ولكنها ظهرت وهذا معناه أن لعنة ومصيبة ستصيب القرية.

وأخذ بعدها يولول كالنساء، هز سالم رأسه بتوتر، فإن كان ما يقوله صحيحا فإن هناك شر قادم حقا.

ذهب العمدة إلى منزله وتركهم بدون أن يقول شيئًا، كان الرجل مذعورًا تماما، وذهب سالم وخالد للعجوز ليستفسرا منها هل كانت هناك نقوش ورسومات فوق جدران البئر أم لا، فأكدت لهم أن جدران البئر ملساء وكل من سألاه أكد هذا الكلام.

هتف خالد :

- أنا لا أفهم شيئًا.

ردد سالم بشرود :

- إن كان ما يقوله الجميع صحيحا؛ فهناك مصيبة كبرى قادمة ولابد من معرفة التحذير المكتوب فوق جدران البئر.

- ومن أخبرك بانه تحذير؟

- يبدو أن من كانوا يحمون البئر فقدوا السيطرة على الوضع، وكانت هذه هي آخر طريقة لتحذير الجميع، لابد أن نحضر من يفك لنا طلاسم تلك الكلمات بسرعة.

- هناك صديق قديم لي، أستاذ في كلية الآثار "فكري سليمان الصاوي" ويعرف اللغة الهيروغليفية ولغة الفراعنة جيدا، ربما استطاع قراءة وفهم المكتوب على الجدران.

-10-

أرواح الموتى

حضر فكري بمجرد أن أخبره خالد بالقصة كاملة، وقف مذهولا من خلف السياج وهو يرى تلك البئر وقال بانبهار شديد :

- أريد تخطي السور يا خالد، رجاءً أحضروا لي سلما

أحضر رجال الشرطة سلمان، سلم للصعود من الخارج وسلم للنزول من الداخل وضعوه بداخل السياج، نزل فكري ومعه سالم وخالد، ورفض العمدة الاقتراب ولكنه حذرهم من الشر بداخل البئر، اقتربوا من جدران البئر، نظر فكري بدهشة شديدة وهو يقول بانبهار :

- إنها مقبرة الساحر "آس خا" سفير الشيطان على الأرض كما كان يطلق على نفسه، يا للروعة، كنت أعتقد أن القصة مجرد أسطورة، قرأت عنها يوما ما ولكن لم تكن هناك أي أدلة تشير لصحتها، إن هذا إنجاز رائع، اكتشاف عظيم، اكتشاف مقبرة أسود

وأشرس ساحر في عهد الفراعنة، الساحر الشيطان، لقد قتل المئات وربما الألوف من الأبرياء وقطع رؤوسهم وصفى دمائهم ببشاعة، يا للروعة.

استمع خالد بتوتر ونظر إلى سالم الذي ابتلع ريقه بصعوبة، يبدو أن القادم سيكون أسوأ حقا كما قال العمدة، قاطع سالم بتقزز:

- وما الرائع في قطع الرؤوس يا أستاذ فكري لا أفهم؟

ابتسم فكري وهو يتحدث باهتمام:

- ليس موضوع قطع الرؤوس، ولكن اكتشاف مقبرته في حد ذاته شيء عظيم صدقني، فأنت لا تعرف قصته وكيف دفنوه في قبر وبعدها قام السحرة ببناء البئر فوق قبره، هل تصدق هذا؟ فهو إعجاز ومن العجائب في حد ذاته، فكيف فعلوها!؟ لا أحد يعرف، وسيظل سرا من أسرار الفراعنة التي لا يعرفها أحد سوى سحرتهم المرتلين وكهنة معابدهم الأقوياء، فمهما وصلنا إليه من تقدم وعلم فلن نصل لنقطة

واحدة في بحار علومهم وقدرتهم التي لا تنتهي ولم تنتهي رغم فنائهم.

نظر له سالم بفضول أن يكمل، ويبدو الرجل مهوسًا حقا بالفراعنة وحياتهم كما أخبره خالد ..

تنحنح الرجل وهو يكمل بانبهار:

- تقول الأسطورة أن " آس – خا " أو سفير الشيطان كما كان يلقب نفسه وقتها كان ساحرًا شريرًا جدا، استغل الكثير من الأبرياء وأزهق أرواحهم وحبسها في منزله وقطع رؤوسهم وصفى دمائهم وقدمها كأضاحي وقرابين للشيطان وأخفاها، وبعد أن اكتشف أمره الملك قام بذبح نفسه وتقديم دمائه قربانا للشيطان، ثم ولدت روحه من جديد في جسد صبي صغير ليكمل مسيرة الساحر " آس - خا" ويحرس أرواح الموتى، وعرف الملك بالأمر وكان يريد قتل الصبي ولكن كبير كهنته حذره وأخبره بأن قتله ستولد روحه مرة أخرى في شخص آخر، فيجب تحرير أرواح الموتى المحبوسة بداخل المنزل فهو يستمد قوته منهم ومن

حبسهم فالأرواح ترفض الرحيل للعالم الآخر بدون رؤوسها وتعتبرها مهانة للموت وعدم احترام قدسية العالم الآخر، فيرفض المسئولون عن العالم الآخر استقبالهم، وكل يوم يعيدهم لإعادة الرؤوس المفقودة، والأرواح حائرة لا تعرف كيف تتصرف، اقترح الكاهن المعظم للقصر أن يتم هدم منزل الساحر، وبهدم المنزل ستتحرر أرواح الموتى، فليس هناك سجن يحبسون فيه، وسيتقبلهم مسئولو العالم الأخر في هذا الوقت رغما عنهم، وبعدها أقاموا مقبرة أسفل سافلين الأرض ووضعوا فيها الساحر البغيض سفير الشيطان وهو مقيد بالسلاسل المعدنية وعليها التعاويذ والطلاسم بداخلها، وقام كل سحرة المملكة بالاتحاد لعمل ذلك البئر فوق القبر، ولكن "آس- خا" توعدهم يومها بأنه سيعود من جديد، فقط يتذوق الدم البشري ليعود ليكمل مهمته التي خلق من أجلها .. وآخر كلماته كانت:

" فقط أتذوق دمائكم؛ ووقتها سأعود من جديد أيها الخطائون، ولن يوقف سفير الشيطان في الأرض أحد" ..

ولقد حذر الكهنة الجميع من الاقتراب من البئر ومن قبر الساحر، ووضعوا التعاويذ والرصد القوي لعدم استطاعة أحد من الاقتراب من جدران البئر، وكان " آس خا" يحاول كل ليلة قمرية الهروب وتحرير نفسه ولكن حراس البئر الأقوياء يمنعونه، فكانت تخرج الأبخرة الحمراء لمدة ثوانٍ كل ليلة اكتمال القمر في السماء مرة كل شهر، وهي يوم حبس الساحر تحت الأرض، ويراها العامة من الناس ...

قاطعه سالم بتوتر قائلا:

- هل كل هذا مكتوب على الجدران؟

- نعم فالقصة مدونة بالكامل على جدران البئر.

وهنا قال خالد بفضول:

- ولماذا لم تظهر الكتابة والنقوش من قبل؟ لا أفهم كما يقول الشهود.

وهنا زفر فكري بضيق قائلا:

- دعوني أكمل لأن الأمر خطير رجاءً.

نظروا إليه ولم ينطقوا بشيء، بل صمتوا وابتلعوا ألسنتهم، أكمل وهو يعدل من وضع منظاره الطبي ويشير لبعض النقوش المنحوتة باللون الأسود على جدران البئر قائلا:

- انظروا هنا إنه التحذير ...

" إن ظهر التحذير على جدران البئر فاعلموا أن سفير الشيطان تذوق جميع أصناف دمائكم، من شيخ لطفل، من امرأة لعجوز، من مراهقة لم تبلغ بعد، واليوم ليس لنا سلطان عليه ولن نستطيع منعه من فعل ما خُلق من أجله، وهو تقديم دمائكم قرابينًا للشيطان وحبس أرواحكم ليستمد قوته وسلطته، لقد حميناكم لسنين طويلة وحاولنا أن نمنع عنكم الشر، ولكن فضولكم هو من جعل الشر يولد من جديد بينكم، لن نستطع مساعدتكم اليوم ولا فعل شيء إلا إن أعدتم كل شيء كما كان من قبل، وقتها سنساعدكم ".

أنهى فكري كلامه، وبعدها نظر بتوتر إلى عيون الضابط والصحفي قائلا:

- لقد ولد الساحر " آس –خا" من جديد في القرية وهو حر طليق يقطع رؤوس الضحايا الأبرياء ليقدمها قرابين للشيطان هل تفهمون شيئا ؟

هز خالد رأسه بعدم فهم قائلا :

- لا أفهم ما تقول يا فكري.

وهنا قال سالم بصوت متوتر وبجدية :

- إن الموضوع خطير، أعتقد أنني فهمت الأمر كاملا، يبدو أنه عند موت الطفل طاهر على سياج البئر بوسيلة ما وصل الدم إلى البئر وتذوق الساحر الدماء فتحرر من سجنه ووُلد من جديد في شخص آخر، أو بمعنى آخر تلبس الشيطان جسد أحدهم ودفعه لفعل تلك المذابح الدامية ...

وهنا قال خالد باندهاش وعدم تصديق:

- وكيف حدث ذلك والمسافة بين السياج وحافة البئر بعيدة، ومستحيل أن تصل الدماء بأي وسيلة؟

وهنا ابتسم سالم بانتصار وهو يشير إلى تلك البقعة عند السياج قائلا بحماس:

- انظر، إن كل شيء حدث من تلك النقطة وسوف أثبت لك.

نظر خالد بتعجب لتلك الزاوية، لقد كانت الأرض منخفضة بطريقة غريبة عند تلك المنطقة وكأنه جُرِّف ليمر به شيء ما، وكانت نهايته عند سور البئر، وكان هناك تشقق ضئيل في الأحجار البارزة من الأرض، إنه انخفاض بسيط في مستوى الأرض المستوية إلا تلك المنطقة، وتشقق بسيط لن يلاحظه أحد، لا يعرف هل هي صدفة أم أنه حادث مدبر من أحد كهنة المعبد ومساعدي سفير الشيطان؟ ولكنه حتما هو البداية لما يحدث بالقرية، رفع رأسه لأعلى، كانت هنا دماء جافة متجلطة حقا على السياج في تلك البقعة، تابع خالد

الصحفي المخبول وهو ينادي العمدة الذي وقف بعيدا ورفض الاقتراب من البئر، وصاح سالم قائلا للعمدة :

- قل لي يا عمدة أين وجدتم جثة الصبي، في أي جزء من السياج كانت مغروزة؟

نظر العمدة طويلا وظهرت على وجهه علامات التقزز الشديد وهو يشير إلى نفس النقطة التي تحدث عنها منذ قليل وقال بتوتر:

- في تلك البقعة ستجد آثار الدماء مازالت عالقة هناك، فلا أعتقد أن أحد قام بتنظيف السياج، ولم تمطر السماء ..

وهنا أكمل العمدة بتوتر وذعر شديد وهو ينظر خلفهم ويرى تلك الأبخرة الحمراء تتصاعد بكثافة من داخل البئر الملعونة :

- اخرجوا الآن، فيبدو أن الشيطان غاضب، اخرجوا سريعا.

التفتوا خلفهم، كانت الأبخرة تزداد كثافة وكأن هناك بركان سينفجر في أي لحظة، أخذ فكري يقترب ببطء من حافة البئر بانبهار شديد وهو يردد:

- إن ما يحدث رهيب حقا، فالظاهرة تحدث كما تقول القصة ولكن ليست ليلا ولا عند اكتمال القمر، بل إنها تحدث عصرا.

جذبه خالد من ذراعة بقوة وهو يردد :

- لا تقترب، ربما كان خطرًا يا فكري رجاء هيا.

أبعد الرجل يده بالقوة وهو يقول :

- إن ما يحدث الآن ليس خطرا صدقني، وليست بسبب الساحر "آس- خا" أبدا فلقد تحرر الرجل وولد في شخص حي خارج البئر، إنها أرواح الموتى ترسل رسائلها تريد التحرر من الداخل.

نظر سالم إلى الرجل بانبهار، فما يقوله معقول تماما، إن كان مختار ممسوس من قبل الساحر فتلك الظاهرة

لا تخصه حقا، ولكن لابد أن يدرسوا الأمر جيدا فقال بهدوء:

- لنخرج الآن يا أستاذ فكري ونفكر فيما يحدث بالخارج أفضل رجاءً.

هز الرجل رأسه بغضب وأطاعهم مرغما، وخرجوا إلى خارج السياج، وهنا كانت هي بانتظارهم تنظر إليهم بطريقة غريبة وبعين واحدة، نظرتها التي تدمر نفسية أقوى الرجال وأعتاهم شجاعة، ظهرت المبروكة من العدم كعادتها، فلا أحد يعرف كيف تفعلها، شهق خالد وفكري بفزع عند رؤيتها تقف هكذا صامتة تمسك بدميتها القطنية من إحدى رجليها ويغطى الشعر وجهها فلا تظهر إلا عينا واحدة.

نظرت إلى فكري وهمت بالحديث، وهنا اقترب منها خالد بسرعة ووضع يده على فمها ليمنعها من إتمام جملتها، كان يعرف أنها ستخبر الرجل بأنه هالك، ولكنه لن يسمح لها بفتح فمها، سيغلق فمها حتى لو وضع عليه شريط لاصق، فلن تتكلم بعد اليوم، أخذت تزوم

وتحاول الخلاص ولكنه لم يرفع يده، اقترب العمدة بغضب وهو يردد :

- ماذا تفعل يا حضرة الضابط؟ اترك الفتاة بالله عليك فلا تغضب المبروكة.

وهنا صاح الضابط في وجهه أن يخرس ولا يتكلم، حاول سالم التدخل قائلا :

- اتركها يا خالد، فهي فتاة مريضة، اتركها بالله عليك.

صرخ بغضب سأتركها ولكن ليأخذها أحد من أمامي، لا أريد رؤية تلك اللعينة مرة أخرى حتى ينتهي الأمر، وإن فتحت فمها بكلمة فسوف أقتلها بيدي الآن.

وهنا أمسك سالم بيديها برفق بعد أن تركها الضابط وقال لها :

- هل تريدين الحلوى يا تبارك؟

لم ترد عليه الفتاة ولم تهتم لأمره، بل كانت تنظر إلى فكري نظرات غريبة حاقدة، هل تعرف الرجل!؟ هو لا يفهم.

نزعت يدها منه بقوة ورحلت، ورحل خلفها العمدة وهو ينادي عليها ويطلب منها التوقف شعر سالم بالتوتر، فهل فهمت الفتاة تهديد الضابط وأنه سيقتلها إن تكلمت؟ وهل تفهم المبروكة وتخاف!!!؟

***

كانت حالة مختار سيئة للغاية، والأجزاء المتآكلة من لحمه تتزايد بطريقة غريبة، فهناك من يقطع لحم الرجل، لا يعرف الأطباء كيف، وهل هو مرض جديد ولكنهم لم يسمعوا عنه؟ وضعوه في غرفة العناية الفائقة وضعوا فيها الكاميرات للمراقبة ليعرفوا ماذا يحدث وهل هناك من يدخل ليلا ليؤذيه، ويؤكد رجال الأمن الذين يحرسون الغرفة أن لا أحد يدخل إلا الأطباء والممرضات.. وتعطلت الكاميرات مرة واحدة بالغرفة بعد أن التقطت ذلك الشيء الأسود هناك وهو

يفتح باب الغرفة ويدخل، لم يحددوا ماهيته ولكنه كان كتلة سوداء دخلت الغرفة وبعدها انطفأت كاميرات المراقبة مرة واحدة.

***

النهاية

جلس الثلاثة يفكرون فيما توصلوا إليه، فقال خالد بجدية:

- إذن روح الساحر موجودة بجسد مختار وهو من قتل الجميع وقطع رؤوسهم، ولكن أين الرؤوس؟

رد فكري ببساطة :

- بداخل البئر يا خالد بالصندوق الأحمر، لقد جمع ثلاثين روحا حتى الآن على ما أعتقد، وحسب التوقيت الذي استغرقه خروج الأبخرة لقد استمرت ثلاثين دقيقة كاملة، لقد حسبتها، كل روح كانت تستغيث لمدة دقيقة واحدة وتريد التحرر، فإن كان عدد القتلى كما أقول إذن فنظريتي صحيحة، وبداخل البئر ثلاثون رأسًا لأعمار وأنواع مختلفة، ما بين شاب وشيخ وطفل وامرأة نظر سالم وخالد إلى الرجل بتعجب ودهشة فحقا هم ثلاثون جثة ورأسا قد أخفيت.

- ما تقوله صحيح يا أستاذ فكري ومنطقي.

زفر خالد بغضب قائلا :

- هذا معناه أن روح نضال تستغيث بالداخل، لابد أن أحررها وأريحه في قبره.

- ماذا تقصد يا حضرة الضابط؟

- أقصد ما فهمت يا سالم، سأنزل البئر الملعونة لأحضر رؤوس الموتى وأقوم بدفنهم وإراحة أرواحهم المعذبة.

رد فكري بانبهار وعيون جاحظة كادت تخرج من محجريها :

- وأنا سأنزل معك أيها الضابط، لن أتركك تنزل بمفردك.

قال خالد بحماس :

- سوف نخرج الرؤوس، وبعدها سنضع المتفجرات بالبئر وننسف المقبرة كما فعلوا في بداية الأمر.

رد فكري بحماس:

- إن نفذنا هذه الخطة يا خالد وحررنا الأرواح العالقة بإخراج الرؤوس وتدمير مقبرة سفير الشيطان، وقتها سيعود حراس البئر ليحموه من جديد ويعود كل شيء لما كان عليه من قبل.

نظر لهما سالم بتوتر:

- وهل تعتقدون أن سفير الشيطان سيسمح لكما بفعل هذا مرة أخرى؟

صمت خالد قليلا وهو ينظر إلى عيني فكري، فما يقوله صحيح، فلن يسمح لهم الساحر بفعل ذلك، فقال بشرود وهو ينظر لعيون سالم :

- أنت يا سالم ستراقبه، ستذهب لتجلس معه بالمستشفى وتمنعه من المغادرة ...

وهنا أكمل فكري قائلا :

- وتمنعه من الموت أيضا، فإن مات قبل أن نفعل سيولد من جديد في شخص آخر.

هز رأسه بغيظ قائلا :

- هل جننتم؟ أمنعه من الموت، وهل يستطيع أحد منع أحد من ساعته إن أتت يا حمقى؟

وبعدها رحل وتركهما، كان قلبه مقبوض ويشعر بأن شيء سيء سيحدث، ذهب للمستشفى وذهبا هما لإحضار الحبال والمتفجرات وكل ما يلزمهما لنزول البئر لتحرير الأرواح وإخراج الرؤوس ودفنها.

***

وصل سالم إلى المستشفى وإلى غرفة مختار، وكانت الدنيا مقلوبة هناك ولا يعرفون ما يحدث للرجل ..

جلس سالم في غرفة المدير والرجل يقص عليه ما حدث مع المريض ولحم ظهره الذي يتآكل بغرابة وعن

شريط الكاميرا الذي سجل ذلك الشيء، طلب سالم من المدير السماح بعرض الشريط على صديق له مختص في هذه النوعية من الأشرطة. وسيعرف كيف يظهر الصورة ويعرفون من الذي دخل الغرفة وهويته، لم يمانع المدير ولكنه رفض إخراج الشريط من المستشفى لأنه دليل براءته مما يحدث للمريض من تآكل حتى لا تتهمه الشرطة بشيء إن فارق الحياة، وهو ما سيحدث قريبا فهو يعتبره ميتا.

حضر الفني الذي اتصل به سالم سريعا وأحضر أجهزته وأخذ يشغل الفيلم ببطء ويوضح الصورة في غرفة مدير المستشفى، وأخذ سالم ينظر بتوتر إلى الصورة السوداء والرجل يحاول إظهارها أكثر وإيضاحها، وهنا هتف الفني بحماس: لقد فعلتها ضغط على عدة أزرار على الحاسوب، وبعدها أدار الشاشة لهم وهو يقول بفخر:

- تفضلوا، هذا من دخل الغرفة، فلا يستعصي على العبقري شيء.

فلقد كانوا يلقبونه بالعبقري، وهنا نظر سالم برعب شديد إلى ذلك الوجه الذي يغطيه الشعر فلا يظهر منه شيئا، وشعر بالمغص الشديد، إنها المبروكة، اقتربت في الفيلم المسجل من مختار ورفعت غطاء ظهره وقربت وجهها، وبعدها قضمت اللحم وأخذت تلوك اللحم باستمتاع وهي تنظر بعين واحدة من خلف الشعر إلى كاميرات المراقبة، وهنا شعر بالصداع والفزع وأسرع يغادر المكان يركض كالمجنون، كان يريد تحذير خالد وفكري، فالمبروكة هي سفير الشيطان وليس مختار، هي من ولد الساحر بداخل جسدها الصغير، لقد كان أحمقًا، كيف سمح لهم بدخول البئر الملعونة، استقل سيارته إلى القرية، لم يكن معه هاتف جوال ليتصل بأحد ويحذره، لم يكن معه شيء لإنقاذ أحد.

وعند مدخل القرية كانت هي في انتظاره تقف في منتصف الطريق لتمنعه من الاستمرار، هل يدهسها تحت عجلات سيارته ويريح العالم من شرها بعد قتلها

لكل تلك الجثث؟ ولكنه لم يستطع، أوقف السيارة وترجل منها برعب وهو يقول :

- أعرف من أنت أيها الشرير، ابتعدي من طريقي رجاءً

شاهد شبح ابتسامة على وجهها، وبعدها تكلمت بصوت عميق غاضب بصوت رجل بالغ قوي قائلة :

- لقد فات الأوان، لن تستطع إنقاذ أحد.

- لماذا قتلت كل تلك الأرواح أيها اللعين؟

- أنت أحمق مثلهم، أنا سفير الشيطان على أرضكم وأنفذ ما يريده سيدي، ولقد جمعت له ما يريد وانتهت مهمتي الآن على أرضكم، لن أقتلك لا تخف فلا يريد سيدي المزيد من دمائكم القذرة سأرحل، لقد تذوق لحمكم المر وشرب دمائكم الملوثة واكتفى بما أخذ، لقد أتممت مهمتي.

وهنا استوقف سالم الفتاة وأمسكها من ثيابها وهو يقول:

- اتركها وغادر جسدها.

فنظرت له المبروكة بعيون بيضاء تماما ورفعت يدها عاليا فطار جسد سالم عاليا وبعدها سقط على الأرض وارتطم بقوة شديدة بزجاج سيارته الأمامي وتهشم الزجاج بدوي عالٍ وفقد الوعي تمامًا.

***

استيقظ ليجد نفسه في المستشفى والضمادات تملا جسده ويشعر بالألم الشديد، وجد الممرضة الحسناء تبتسم بارتياح قائلة :

- حمدًا لله على سلامتك يا أستاذ سالم.

- أين أنا ؟

- أنت بالمستشفى في غيبوبة منذ أسبوع ؟؟

- أسبوع، هل نمت كل هذه الفترة؟

- نعم أنت في غيبوبة منذ تسعة أيام تحديدا، أرجوك لا تتحرك سأحضر لك الطبيب.

حاول النهوض، ولكن جسده كان يؤلمه ويشعر بالدوار، كان حزينًا يريد أن يعرف ماذا حدث لخالد وفكري والمبروكة ومختار، ماذا حدث ؟

وهنا دخل الطبيب الغرفة ومعه الضابط خالد وهو يبتسم قائلا :

- واخيرا استعدت وعيك أيها الصحفي لقد أرعبتني يومها.

هتف سالم بفرح حقيقي عند رؤية خالد :

- خالد، هل مازلت على قيد الحياة؟ الحمد لله، لقد اعتقدت أنك .. ولكنه لم يكمل جملته ... وهنا قاطعه خالد قائلا :

- لم أمت أنا يا سالم بل رحل فكري، ألا تتذكر أن المبروكة قالت لي يوما أنني بخير.

هز سالم رأسه بحزن وهم بسؤاله عم حدث ولكنه انتظر حتى أنهى الطبيب كشفه وخرج من الغرفة وقال له :

- أخبرني ماذا حدث يومها، وكيف مات فكري، وماذا حدث لمختار؟

- لقد رحل مختار هو الآخر يا سالم في المستشفى في نفس اليوم المشؤم، يومها بعد أن ذهبت أنت للمستشفى وقررنا نحن نزول البئر لتخليص الأرواح ودفن الرؤوس، وأحضرنا كل شيء، جاءني اتصال من أمي بأنها مريضة وتموت وتريد رؤيتي، في تلك اللحظة لم أفكر في شيء سوى العودة سريعا للقاهرة ورؤيتها قبل الرحيل، طلبت من فكري أن ينتظر عودتي ولكنه لم يستمع لي ونزل وحيدا ليلا، أخبرني العمدة بأن القرية سمعت صوت دوي انفجار قوي وزلزال هز أرجاء القرية وأبخرة كثيفة حمراء أخذت تخرج من البئر، وبعدها انتهى كل شيء، وحتى النقوش المحفورة على جدران البئر قد اختفت تماما، لم يجدوا إلا الحبال ملقاة بجوار البئر وطرفها مربوط

بالسياج الحديدي وأشياء فكري وأجهزته، لقد فجر البئر وهو فيه ولا أحد يعرف ماذا وجد وشاهد بالداخل.

- وماذا عن المبروكة هل ماتت هي الأخرى يا خالد ؟

- وهل تموت المبروكة إنها الآن بمستشفى العباسية للأمراض النفسية والعصبية يا سالم، بعد أن رأينا الفيلم الذي التقطته المستشفى فشاهدناها وهي تلتهم لحمه كالوحش وتهجم عليه بشراسة، يبدوا أن الفتاة جنت بعد كل ما رأت من جثث ممزقة وأشلاء ورفض أهلها استلامها فوضعتها الشرطة في المكان المناسب لها يا سالم، فلن يعاقب القانون قاصرا ومختلة عقليا مهما فعلت بالجميع، فهذا أفضل شيء.

لم يرد سالم عليه بل كان عقله مشغول بالمبروكة وبسفير الشيطان، كيف تركها ولماذا؟ هو لا يفهم ولكنه سيزورها ليعرف ويروي فضوله، وكيف تلبسها آس خا لابد من زيارة الفتاة لمعرفة كل شيء.

***

بعد عشرة أيام كان سالم منصور الصحفي يجلس على المقعد المقابل للمبروكة ينظر لها، وكانت هي مازالت تضحك ويتدلى لسانها للخارج ويغطي شعرها نصف وجهها، أحضر لها الحلوى التي تحبها، مد يده لها بالحلوى قائلا :

- الحلوى التي تحبينها يا تبارك.

أخذتها منه وهي تبتسم وفتحتها ووضعتها في فمها ورددت وهي تنظر إليه :

- أنت بخير.

- أعرف يا مبروكة أنني بخير، ولكن هل ستخبرينني بالقصة وكيف دخل جسدك، ومن قتل الجميع؟

لم ترد بل أخذت تضحك ولسانها يتدلي للخارج وتأكل بسعادة وكأن شيئًا لا يعنيها بالحياة، ربت على كتفها وقام ليغادر الغرفة وهو يقول:

- يبدو أنك لا تريدين إخباري بالأمر، سأرحل.

وهنا وجد من يمسك بيده بقوة، نظر لها بتوتر، وجد عينيها قد تغيرت لتصبح بيضاء تماما بدون أي سواد فيهما، وهنا شعر بالصداع الشديد والدوار و و ...

شاهدها وهي تسير بثوبها الأبيض الواسع يتطاير مع شعرها الناعم الطويل بفعل الهواء بالليل، كانت تسير بخطوات ثابتة. تبدو نائمة لا تشعر بشيء، تحمل دميتها القطنية، وصلت للبئر الملعونة، كان مختار يحاول تدمير البئر بفأسه، رفعه عاليا، وهنا وقفت تنظر له وعينيها مفتوحة تماما وثابتة، وخرج ذلك الشيء الأسود من البئر ليمسك بيديه ويمنعه ليسقط أرضا، وهنا نظر الشيء إلى الفتاة التي تنظر إليه، كان له عينان حمراوين كالدماء، اقترب منها وأخذ يتحسسها، إن الشيء يشبه البشر في شكله ولكنه أسود كالهلام، وقفت لا تتحرك أخذ يلف حولها وبعدها اخترق جسدها من الرأس.

وقفت تنظر يرتعد جسدها بقوة وينتفض، وبعدها قفزت لتتخطى السياج الحديدي بقفزة واحدة وتنظر إلى جسد مختار الملقى على الأرض، رفعت ثيابه

وقضمت قطعة كبيرة من اللحم بتلذذ، وبعدها حملته بيد واحدة وألقته خارج السياج، ورحلت بعد أن التقطت دميتها من فوق الأرض وذهبت باتجاه منحل النحل وأدخلت يديها بين النحل لتخرج الشمع وتقوم بتصنيع بعض التماثيل وتضعها على الترعة وتذهب للمنزل من جديد، أخذت تقطع رؤوس الجميع بقسوة وتجمع دمائهم في تلك الحاويات السوداء وتخرج القلوب والأكباد لتعتصرها بقسوة، تنظر ببرود خالية من الحياة تماما أمسكت رأس الرضيع وقامت بفصلها بتلك المدية الحادة التي كانت تمسكها لا يعرف من أين أحضرتها، كل رأس تقطعه كانت تضعه في حاوية سوداء، في غضون دقائق كانت قد اقتلعت رؤوس الجميع وصفت دمائهم كانت تتحرك بسرعة رهيبة، وبعدها ذهبت لمنزل آخر وكررت ما فعلت، ذبحت الجميع وبدم بارد، وأخذت الرؤوس وذهبت من جديد للبئر فألقتها بداخلها وبعدها ذهبت لمنزلها في هدوء ودخلت ذلك الفرن الحجري، دخلت لتنام كالملاك البريء وخرج الشيء الأسود من جسدها طائرا وعاد من جديد إلى البئر.

رآها وهي تقطع رأس نضال وتشق جسد زوج عزيزة لنصفين بعد فصل رأسه، رآها وهي تعبث وتلعب بجثة عمتها هدي المقطوعة الرأس وتغرز المدية في قلبها ببشاعة وتغرزها باستمتاع وتأكل القلب، رآها تمزق وتقتل وتصنع التماثيل من الشمع وتضعها هنا وهناك، ابتعدت عنه مرة واحدة ودفعته بقوة بعيدا، وقتها نظر بذعر إلى عيونها البيضاء تماما وقال بخوف شديد وتقزز :

- أنت من قتلت الجميع، أنت من قطعت الرؤوس يا مبروكة وأنت نائمة، كنت تقتلين بعد ان استولى الشيطان على جسدك، ولكن أخبريني هل مازال الشيطان بداخلك أم تركك، ولماذا لم يؤذيك لا أفهم؟

وهنا فتحت عيونها مرة واحدة وأخذت تضحك من جديد لتخرج لسانها ويتدلى للخارج، ابتعد بخوف، لمح شبه ابتسامة ساخرة ولم ترد.

خرج من الغرفة وهو خائف، لن ينكر فالفتاة مخيفة وتثير التوتر والفزع في النفس، ولكن المهم أن الأمر

انتهى، ورحم الله الجميع. غادر الغرفة، وهنا استوقفته الممرضة قائلة :

- من فضلك انتظر، لقد قرأت اسمك بالخارج بدفتر الزائرين، أستاذ سالم منصور الصحفي؟

- هز رأسه بنعم.

هنا مدت الفتاة يدها بشيء قائلة:

- هذا الشيء لك.

- أخذ شيء وهو يتساءل ما هذا ؟

- إنه هاتف، وجدناه مع الفتاة تبارك وكتب على الآخر اسمك.

- لا أفهم ..

- أعتذر منك، لقد وجدنا مع الفتاة هاتفين، واحد كتب عليه اسمها والآخر كتب عليه اسمك، يبدوا أنها تحبك وتريدك أن تطمئن عليها كل يوم بالمستشفى.

- كما تريد يا خالد.

رحل خالد تاركا كل شيء خلف ظهره يفكر في أمه التي تموت، وقف فكري ينظر لمعداته والحبال والأدوات التي أحضرها بفضول وقرر أن ينزل ويخوض التجربة بمفرده، ففضوله لاكتشاف مقبرة الساحر كانت قوية، ربط الحبال بالسياج وضع السلم الخشبي داخل البئر، وتوكل على الله وقرر النزول، نزل وكان متوترًا رغم تحمسه شعر بانخفاض درجة الحرارة وصوت أزيز عالٍ يصدر من الأسفل. استمر في النزول، لم تكن هناك قطرة مياه بالبئر، ولكنها الصخور. يبدو أنهم حفروا عميقا لذلك البئر، يشعر بالتعب وهو ينزل ويتوغل في باطن الأرض، كان النور يزداد كلما نزل حتى وصل للنهاية، كان أمام ممر طويل وهناك مصابيح مشتعلة ورائحة كريهة، شعر بتلك الحركة، كصوت حفيف أوراق الشجر من خلفه، تلفت بتوتر، كانت تماثيل أنوبيس السوداء إله الموت في كل مكان، وضعوها لحبس الساحر الملعون، سار في الممر يحمل حقيبته خلف ظهره، كان هناك ضوء أحمر صادر من

نهاية الممر، سمع الصرخات، لا يعرف من أين، صرخات مريعة عالية جعلته يسرع الخطى، وصل للنهاية، وجد غرفة سوداء اللون، كل جدرانها من الجرانيت الأسود القاتم وقف مدهوشا من المنظر، بالرغم من عدم وجود مصابيح تشع الغرفة نورا أحمر غريب، اقترب أكثر ولاحظ ذلك الصندوق الأحمر، يبدو أنه هو السبب.

- ما تلك الأشياء التي تجري على الأرض ، كانت سوداء كالفئران مشعرة لا يعرف أنها تماثيل، تماثيل أنوبيس المخيفة السوداء في كل مكان بوجهه البشع، كانت تلك الطاولة مرفوعة عن الأرض وكأنها طائرة، نظر فكري للطاولة، شعر بالصداع الشديد والدوار، أغمض عينيه، شعر برغبة عارمة في فتح الصندوق،

اقترب ببطء، فتحه بصعوبة شديدة، لقد كان الغطاء ثقيلًا جدا

وهنا لم يعد يتحمل، كان الصندوق مليئا بالرؤوس المقطوعة الكثير..

رؤوس أطفال، رؤوس رجال، رؤوس نساء، غارقة في الدماء، الكثير من الدماء، رائحة الموت، فتحت الرؤوس عيونها، جميعها مرة واحدة، وأخذت تردد بأصوات مختلطة :

- حررنا، حرر أرواحنا العالقة.

أخذت تلك الأشياء تقترب منه بسرعة رهيبة ، شعر بالهلع، بالرعب والفزع، ماذا يحدث؟

إن عيون أنوبيس تنظر له وتتحول للون الأحمر..

كانت الأصوات والصرخات تتزايد وعيون التمثال تزداد احمرارًا وتتسع ابتسامته سخرية.

لم يستطع التحمل أكثر من ذلك، حاول الهرب، خرجت تلك الأيادي السوداء من أسفل الأرض لتجلسه أرضا، وهنا خرجت الرؤوس من الصندوق وأخذت تزحف تجاهه وهي تردد :

- حرر أرواحنا.

صرخ برعب ابتعدوا عني، وهنا سمع ضحكات عالية صادرة من تماثيل أنوبيس المعلقة على الجدار.

صرخ مكملا :

- اصمتوا سأحرر أرواحكم.

فتح الحقيبة وأخرج المتفجرات التي كان يحملها، أشعل تلك القنبلة اليدوية وأزال الفتيل بفمه، لا، إن واحدة لن تكفي لتحرير الجميع، أشعل الخمس قنابل وألقاها بداخل الصندوق، انفجار قوي هز أركان المقبرة ودمرها تماما.

أعمال الكاتبة :

- لعنة الضريح - رواية

- قرين الظلام - رواية

- قسم سليمان - رواية

- رسائل من الجحيم - رواية

- ساديم - رواية

- رحيل روح - رواية

- رواية قلادة الجحيم - رواية

- لعنة الأرواح - قصص

- نحن نعرف ما يخيفك - رواية

- جحيم الأشباح - قصص

- عدلات وحرامي اللحاف - رواية